أين دموعي

رواية

تأليف

فاتن فاروق

obeikandl.com

طبعة ٢٠١٧

فاروق، فاتن

أين دموعى: رواية/ فاتن فاروق، تصميم الغلاف أحمد الصباغ – .-
الجيزة: أطلس للنشروالإنتاج الإعلامي، ٢٠١٦ .

١٨٨ ص ،٢٠ سم

تدمك: ٩ ٤٩٦٩ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية

أ - الصباغ ، أحمد (مصمم) ب- العنوان

٨١٣

obeikandl.com

أين دموعي

رواية

تأليف

فاتن فاروق

obeikandl.com

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضوا مجلس الإدارة

المنتدب

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٦/٢٦٣١٥

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٤٩٦-٩

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٧

الكتاب : أين دموعى

المؤلف : فاتن فاروق

الغلاف : أحمد الصباغ

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٠٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكـــس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

obeikandl.com

إلى تلك الفتاة التي كانت أنا يوماً

فاتن فاروق

٩/مارس/٢٠٠٨

obeikandl.com

obeikandl.com

(١)

عـلا رنـين الهاتـف ليـدق بإلحـاح ممـا أجفلـه مـن نومـه؛ ففتـح عينيـه الناعسـتين مـن شـدة الإرهـاق يلقـي نظـرة علـى السـاعة فـوق الكيمـود ليجدهـا السـابعة صباحًـا.

- رباه،من يتصل في مثل هذا الوقت المبكر؟

تثاءب بصوت مسموع قبل أن يحاول نفض بقايا النعاس عنه ولسـان حالـه يـردد:» مـن غيـر يوسـف يزعجـه في مثـل هـذا الوقـت» التقـط سـماعة الهاتـف بيـده قائـلاً بصـوت أجـش:

- صباحك خير أيضًا يا يوسف.

سـمع صـوت ضحـكات صديقـه تأتيـه مـن الطـرف الآخـر للخـط قائلاً:

- ألا زلت نائمًا يا آسر! ما هذا الكسل؟

فـرك آسـر عينيـه ثـم مسـح وجهـه بيـده يحـاول الاسـتيقاظ إلا إنـه تثـاءب قائـلاً:

- أنـت تعلـم أنـي انتهيـت مـن العمـل علـى المشـروع في وقـت متأخـر وكل مـا أحتاجـه الآن هـو الراحـة والنـوم العميـق لا إلـى صديق مزعـج ينعـق في أذنـي.

ثم أضاف بعد أن تثاءب مرة ثانية:

- أولم تكن معي بالأمس! أغلق الهاتف يا يوسف واذهب لتنام أنت الآخر.

يوسف صديق آسر وشريكه أيضًا في شركة المشروعات الهندسية (الطيب والغازي) نسبة إلى لقب عائلتيهما، وبعد العمل المُضْنِي والمتواصل طوال خمس سنوات سطع نجم الشركة وأصبحت من أشهر و أنجح الشركات في مصر؛ بسبب تصميمات آسر للمباني فقد كان يخلق من المباني التي يتولَّى العمل عليها لوحة فنية رائعة شكلاً ومضمونًا، قبل ذلك كان آسر يعمل مهندسًا في شركة كبيرة في دول الخليج العربي لكنه بعد سنوات من العمل المُضْنِي قرر أن الوقت قد حان لتأسيس عمله الخاص؛ فعاد إلى القاهرة واتفق مع يوسف على البدء بمكتب صغير ثم شيئًا فشيئًا أصبحا يملكان شركة ناجحة ذاع صيتها واشتهرت، وهم حاليًا يعملان على الاتجاه دوليًّا، فقريبًا سوف يتم افتتاح فرع للشركة في دبي وآخر في المغرب.

استيقظ من أفكاره على صوت يوسف يقول:

- سأفعل، ولكن قبل هذا دعنا نتفق على قضاء عطلة بجوار شاطئ البحر في جو من الهدوء خالي من العمل وتعقيدات النساء.

رد آسر بعد تفكير عميق وقد تجاهل تلميحات صديقه الأخيرة؛ فهو بالفعل في حاجة إلى عطلة طويلة للراحة والاستجمام، لا يتذكر متى كانت آخر مرة حصل فيها على أجازة خلال هذه السنوات الخمسة المحمومة بالعمل فاشتعلت حواسه بالحماس وسأل يوسف:

- حسنًا أين هذا المكان الخيالي؟

- شاليه أخي أمجد على الساحل حيث الهواء الطلق وماء البحر لكن دون الوجه الحسن، المكان متطرف بعض الشيء بعيد عن ضجيج المصطافين.

ضحك مرة أخرى ثم أضاف:

- سوف تكون حرًا دون التعرض للإزعاج من قبل الجميلات اللاَّتي تحمن حولك عادة ودون أي ضغوط من العمل،مجرد عطلة تسترد فيها قوتك وتستعد بعدها لاستلام المزيد من المشاريع الهندسية الجديدة.

- فقط أنا لا غير.

سأل آسر متشكِّكًا في نوايا صديقه.

- لا . رد يوسف.

- لقد عرفت أنه سيكون هناك خدعة ما.

قال آسر بسرعة.

ضحك يوسف ممازحًا:

– ستكون هناك أم عمر التي ستقوم على خدمتك وتلبية كل طلباتك إلا إذا اعتقدت أنها ستلاحقك هي الأخرى.

صمت آسر قليلاً يتذكر ملامح أم عمر المتلئة ذات الوجه الأمومي والتي عملت على خدمة عائلة يوسف منذ أكثر من عشرين عامًا ثم تعالت ضحكاته قائلاً: «من الواضح أنكَ أخذت بعين الاعتبار كل شيء حسنًا سأذهب على أن تلحق بي في أقرب فرصة؛ فقد أشعر بالملل من الوحدة يا صديقي.

- تريدني أنا! أم أرسل لك من يسليك في وحدتك؟

يوسف يعلم جيدًا أن صديقه لا يستطيع الحياة بدون عنصر نسائي في حياته.

- لا. قال آسر ثم أضاف: «فقط أنت»

انتابت الدهشة يوسف لإصرار آسر؛ فرغم أنه ليس زير نساء إلا أن حياته لا تخلو من النساء المتلهفات عليه.

عازب وسيم وثري التركيبة التي تجذب النساء كما يجذب رحيق الأزهار النحل، كان آسر يدرك هذا الجانب من شخصيته ويستغله لأبعد حد ولكنه ما لبث ان مل كل هذا.

- ماذا هناك يا آسر؟ سأله يوسف.

- لا شيء فقط أريد أن أختلي بنفسي دون التركيز على أي شيء حتى ولو كان امرأة.

- حسنًا سأدعك لتحصل على هذا،فلتَعُدْ إلى النوم،سلام يا صديقي.

انقطعت المكالمة إلا أنَّ آسر يعرف صديقه حق المعرفة؛ فهو أول من يخرق القوانين التي يسنَّها بنفسه من الممكن أن يجده مهرولاً خلفه بملفات المشاريع الجديدة.

«يتميز المكان بانعزالية غلفها جو من الهدوء والجمال مما أضاف إليه جاذبية خاصة» هذا ما فكر به آسر وهو يتجول حول الشاليه ذي اللون الأبيض الصافي والأزرق الذي يحدد إطار النوافذ و الشُرفة، أما الحديقة فقد أحاطت به بشكل دائري فيما امتزج لون نجيلها الأخضر بألوان الورود المختلفة؛ لتداعب حواسه تلك الروائح العطرية ساحرة التي تخللت الجو،بضع خطوات إلى الجهة الخلفية ووصل إلى حمام سباحة دائري - دلف بعد ذلك إلى داخل الشاليه وجالت عيناه حول غرفة معيشة بسيطة - بطاقم أنتريه مريح - وطابق علويّ يحتوي على أربع غرف اختار منهم تلك التي تطل على شاطئ البحر.

الأسبوع الأول أمضاه في جو من التأمل والاستجمام لا يعكر صفوه إلا فضوله - الذي أثير تجاه الشاليه المجاور وقاطنيه- حيث تناهى لمسامعه تلك الأصوات الموسيقية المنبعثة من هناك- عزف كماناً حزين بنغمات خلابة شجية ساحرة ذات لغة حزينة ودائمًا ما تنبعث في وقت متأخر من الليل، ولكن الغريب في الأمر واثار ريبته أنه لم يرَ أحد يدخل أو يخرج منه، بالإضافة إلى الأنوار المضاءة من غروب الشمس إلى ظهورها في اليوم التالي، مما جعل خياله يجنح إلى تلك الأفلام الخيالية ذات الغموض والإثارة - التي كان يستمتع بمشاهدتها وهو مراهق صغير- فلم يستطع كبح جماح نفسه وتحفزت حواسه بالترقب والإثارة؛ فقرر أن يستكشف ويتابع ما يحدث هناك،لغز ولابد من حلِّه،ارتسمت ابتسامة شيطانية فوق شفتيه مفكرًا أن خطته ستتغير والبحث عن المتاعب سيبدأ من الآن،ذهب الملل على غير رجعة.

تمتم بصوت مسموع:

- ستكون عطلة ممتعة مليئة بالإثارة وحل الألغاز.

عقد العزم على مراقبة الشاليه، صعد دراجات الشاليه واتجه صوب المطبخ حَيَّى أم عمر مدبرة المنزل قائلاً بمرح:

- صباح الخير يا أم عمر أكاد أموت جوعًا، هواء البحر المنعش يفتح الشهية.

- هذا جيد فأنت لا تتغذى جيداً.

قالت أم عمر ترمقه بنظرات غير راضية.

- إذن عليَّ أن أتغذى جيداً،من فضلك أحضري فطوري إلى الشُرفة.

- حالاً سيدي. ردت أم عمر.

جلس آسر على الشُرفة المطلة على البحر بأمواجه الهادئة عندما قدمت له أم عمر الفطور وكوب الشاي الساخن.

- أم عمر، من يقطن الشاليه المجاور؟ سألها آسر بفضول.

- عائلة عامر المهدي. ردت أم عمر.

- كل العائلة ؟؟

- بالطبع لا،القاطنون حاليًا هم الجَدّة وحفيدتها نور.

- نور تلك طفلة صغيرة يا أم عمر؟ استمر آسر بالأسئلة.

ضحكت أم عمر قبل أن تجيب:

- بالطبع لا الآنسة نور فتاة تخطت تلك المرحلة منذ زمن، والدتها صديقة السيدة هناء - والدة يوسف - وقد أوصتني بالجدة وحفيدتها،أذهب إليهم من وقت للآخر للاطمئنان وتلبية بعض طلباتهم،هذا كل ما أعرفه

obeikandl.com

- ولِمَ! هل يقيمون بصفة دائمة؟ سأل آسر-.

- منذ سنة تقريبًا-لم يغادروا مطلقًا بعدها،أذهب للقاهرة وأعود وهن على حالهن.

ردت أم عمر وهي تصبُّ له فنجان آخر من الشاي قبل أن تنطلق عائدة إلى المطبخ منهية بذلك حديثها، فأدرك آسر أن كل ما تريد أن تطلعه عليه من معلومات قد قالته ولا شيء آخر لديها تضيفه؛ إذَن يقطن الشاليه الجدة وحفيدتها الغامضة، فمن فحوى حديث أم عمر تبدو آنسة عزباء في أواخر الثلاثينيات من عمرها ومن الممكن أن تكون أيضًا عازفة كمان في إحدى الفرق الكلاسيكية، أفنت عمرها في الموسيقى. عاد إلى التخيل وتصَوَّرَها امرأة نحيفة قاسية مثل وتر الكمان تلفُّ شعرها على شكل كعكة فوق رأسها بشدة لا تسمح لأى خُصْلَة منها الخروج من مكانها،هزَّ كتفيه لا مُبالِي يبدو ان الامر لا يستحق أدنى اهتمام ، فما الذي يريده من عانس الوِحْدَة رفيقتها.

أمضي يومه على الشاطئ يسبح ويتنزه، وفي المساء عاد إلى الشاليه ليقضي بعض الوقت على حاسوبه المحمول يتفقد رسائله، وما لبث ان انفرجت شفتاه عن ابتسامة ؛ فقد صدقت ظنونه وها هو يوسف يراسله يطمئنه على سير العمل، يطلعه على كل ما هو

جديد. حلَّ الليل دون أن يشعر فخرج إلى الحديقة حيث ستقدم له أم عمر العشاء،إذا استمر بتناول الطعام على هذا المنوال؛ سيكون مثل (الدُبّ تيدى) الذي يعشقه الأطفال. نظر إلى النجوم المتلألئة التي تنير ظلامه وجلس حول المنضدة ينتظر، شرد نظره و أفكاره صوب الشاليه المُضاء، مما جعله مشعاً كشجرة الكريسماس، غريب أمر هاتين المرأتين!!.

تململت نور في سريرها، تمكن منها الأرق كعادة كل ليلة – نهضت من فراشها وهي تفرك عينيها بضيق تلعن ذلك الأرق – الذي أصبح رفيقها على الدوام – قادتها خطواتها إلى المطبخ لتحضر كوب من النسكافية لعلها تحظى بالنوم، بعدها أخذت ترتشف من الكوب وهي تتجه إلى غرفة المعيشة المُضاءة، تستشعر سكون المكان حولها فأشعلت المزيد من الأضواء لتؤَنِّس نفسها ثم تأملت الغرفة، فكل ما تحويه من أثاث يدل على البساطة و رُقيّ الذوق ثم اصطدمت عيناها برفيق روحها كَمَانهَا الحبيب.

اتجهت إلى الرف الذي تضعه دائمًا عليه فحملته بكل حب ورِقَّة، فيما أخذ وضعه بين كتفها ورقبتها وانطلقت تلك العصا السحرية بوترها الرفيع تداعب تلك الأوتار المشدودة – التي تحكمت بها تلك الأصابع الرفيعة قبل أن تنطلق بالعزف – لتدخل عالم آخر من الخيال يتراءى لها سُلَّمه الموسيقي، يصعد ويهبط

وكأن هنالك أقدام راقصة تستعرض رشاقتها مع كل نغمة منطلقة بشجن؛ حينئذً سمع آسر صوت العزف المنبعث من داخل الشاليه، انساب النغم داخل أذنيه يتغلغل في وجدانه؛ فأصابه الجمود لبعض الوقت و هو يستمع إلى مقطوعة مسَّت جدار قلبه يفك طلاسمه؛ هبَّ واقفًا تحمله قدماه مسرعًا صوب الشاليه،تخطى الحديقة للخارج حائرًا وتساءل:

- لِمَ أتشوق لرؤيتها؟

لا يمكن ان تنبعث تلك الالحان البديعة من بين أصابع شبح مترهل – كما تصور سابقاً- تسلل بخفة النمر يحوم حول المكان وكل ما يرغب به هو كشف النقاب عن غموض ساكني الشاليه الغامضين، فجأة لمحها من خلف زجاج النافذة الواسعة مكنت منه رجفة عنيفة هزت اوصاله – ملاك!!

لاح امام ناظريه ملاك ابيض – انتزع من لوحة سحرية ، تلامس قدميه الأرض وكأن عالم البشر هذا غريب عنه ولا يمط له بأي صلة هل جمح خياله مرة أخرى؟

فرك عيناه دون وعي .. لعله وقع بين براثن حلم وردي وما هي الا لحظات ويستفيق من غياهب هذا الوهم – يا لجمالها- ورقتها-عاد لفرك عينيه مرة أخرى وحدَّق بها مرة ثانية فلم

يتغير شيء ، الملاك أمامه لا تزال تعزف على الكمان مغمضة عينيها باندماج مطلق مع آلتها الموسيقية،تتحرك برِقَّة وانسجام متناسية محيطها، منفصلة عن العالم.

وقف يرهف السمع في غفلتها عنه-يلاحق ناظريه تلك التفاصيل الناعمة-أنثى صغيرة القدّ رقيقة ذات ملامح كلاسيكية،أنف صغير مستقيم،الشفاه قرمزية ممتلئة بعض الشيء أما الشعر فهو شديد النعومة أسود سواد الليل استرسل لمنتصف ظهرها،التفَّ حول قوامها رداء أبيض أخذ يتحرك معها راقصًا مع كل خطوة واستدارة.

توقفت دون أنزار كما فعلت في البدا مباغته حواسه التي لم تتشبع بالكامل من سحر تلك اللحظات التي فرضت نفسها لتقتحم دواخله، تسلل عائداً من حيث اتى، دون أن تعلم عنه، نادت عليه أم عمر وهو يجتاز غرفة المعيشة ليصعد إلى غرفته دون انتباه وفيما علا صوتها أكثر التفت إليها مشوش التفكير يحاول التركيز بصعوبة على ما كانت تقوله.

- العشاء جاهز سيد آسر.

- شكرًا يا أم عمر لا أشعر برغبة في تناول الطعام، اعذريني.

حدَّقت أم عمر في أثره وهو يصعد إلى غرفته مندهشة من الوجوم الذي اعتلى وجهه فتح آسر باب غرفته ثم استلقى على سريره بكامل ثيابه يتساءل: هل ما رآه حقيقة؟ أم أنه كان يهذي !

شعر بحواسه تشتعل وتسارعت دقات قلبه عندما أخذت صُوَر نور تتلاحق في مخيلته وهي تتمايل على أنغام كَمَانِهَا، حرك رأسه من اتجاه إلى آخر يحاول أن ينفض صورتها التي احتلت عقله .. دمدم يعنف نفسه:

- أنا هنا لأنعم بالراحة والهدوء بعيد عن شبح العلاقات النسائية،لا يمكن أن أعيد الكَرَّة.

اتكأ على ذراعه ثم عاد ووضعها خلف رأسه يستند عليها محدقًا من خلال الشُرفة المفتوحة إلى السماء اللامعة بملايين النجوم دون أن يشرد ذهنه عن صورتها برقتها وعذوبتها، أخذت الابتسامة تعزو شفتيه ولسان حاله يردد بخفوت:

«نور»

استيقظت من نومها وهي تبتسم حانقة، ها هو يوم آخر جديد لا يختلف في روتينه عن أيامها السابقة أبدًا، تقيم مع جدتها هنا منذ سنة تقريبًا، تعشق هذا المكان في انعزاله عن العالم و شروره. في الماضي اعتادت أن تأتي للإقامة به في العطلات والأعياد مع

العائلة حيث قام شقيقها وليد بشرائه إرضاء لوالدتيهما خاصة لمجاورتهم لشاليه صديقتها السيدة هناء.

عندما أخبره أمجد عن عرض الشاليه للبيع سارع لمعاينته ثم شرائه قبل أن يسبقه أحد آخر وتملكت نور الحيرة حين ذاك وهي تحاول العثور على أسم له وأخيراً أسمته «كوخ الورد»

نسبة إلى حديقته الممتلئة بالورود العطرة المختلفة الألوان، الشاليه صغير بعض الشيء به حُجْرَتان للنوم و غرفة معيشة صغيرة و حمام يفصل الغرفتين عن بعض، أما الحديقة المحيطة به فهي مسيجة بسياج من الخشب المطلي باللون الأخضر وُضِعَت بها كراسي مع منضدة من خشب البامبو المجدول للجلوس براحة واستمتاع.

قررت نور أن تتمشى على شاطئ البحر بعد أن تتناول الإفطار مع جدتها وتقضي وقتها بالسباحة واللعب بالماء؛ فقد أمضت الأسبوع الماضي كله بين جدران الشاليه لم تخرج منه مطلقًا، فقد كانت منكبة على العمل والانتهاء من كتابها الأخير الذي تكتبه للأطفال، فهي قاصة متخصصة في أدب الأطفال، ألَّفت كتابين حتى الآن وقد حققا نجاحًا باهرًا وأصبحت رواياتها مطلوبة في الأسواق، وها هي تعمل على الكتاب الثالث. وقد

أصبح شقيقها «وليد» وكيل أعمالها يتعاقد مع دور النشر على أي عمل جديد، أما تعاملها هي معهم يتم من خلال الانترنت دون مواجهة مباشرة مع أي طرف، تمددت نور على الرمال تأخذ حمام شمس بعد أن سبحت و لعبت في الماء باستمتاع كالأطفال حتى تعبت، لم تدرك متى غفت أو كم من الوقت مضى حتى شعرت بظل يقع عليها، رفرفت عيناها تحاولان الاستيقاظ حتى وضحت الرؤية أمام ناظريها،رجل طويل القامة أسود الشعر ذو عيون تنافس زرقة السماء الغائمة، تُنَاقِض صرامة ملامحه التي رغم ذلك تشع جاذبية،ما باله يحدق بها هكذا بتركيز بل ويتأملها من رأسها إلى أخمص قدميها وفي عينيه وميض لم ترَ مثله من قبل،في حين داعبت شفتيه ابتسامة خفيفة،انتفضت جالسة تحدق به بذعر تتسارع الأفكار في رأسها من أين أتى؟ وماذا يريد؟ بحثت بعينيها على طول الشاطئ علها تجد أحد تستغيث به؛ فوجدت المكان خاليً تمامًا إلا منهما فأعادت نظرها إليه مرة أخرى ترتاب في وقفته الغريبة وتحْدِيقَه دون خجل بها، وبعد بُرْهة خرج صوته الأجشّ يقول:

- صباح الخير، لم استطع منع نفسي من متابعتك آثناء لهوك،فقلت لِمَ لا نتعرف؟

فغرت فمها ولم تنبس بكلمة لقد كان يراقبها إذن، لكن منذ متى؟

وازداد اتساع حدقتي عينيها رعبًا وهي تشعر بذلك الشيء القديم يعود وينهش قلبها بل ويعتصره،أصبحت بشرتها شديدة الشحوب من أين أتاها الإحساس بأنها مهددة لا تعلم،نظرت إليه متحفزة تستعد للهرب في أي لحظة،فهذا الغريب وجدها وحيدة و قد أزالت كل حواجز دفاعاتها، قال آسر في هدوء يستدرجها للكلام معه محاولاً زرع الطمأنينة في قلبها بعد أن رأى نظرة الذعر في عينيها:

- سيدتي أنا لا أقصد أن أسبب لك أي سوء.

ما قاله لم يخفف من ذعرها بل رآه يتعاظم في صفحة وجهها البيضاء، ما به!! الا يستطيع قول شيئاً يطمئن به قلبها، تلعثم لسانه وانعقد ثم أخذ يتخبط بالكلام:

- ما بالك آنستي فاغرة فمك هكذا لا تخافي أنا آسر جارك ، ضيف أسرة الغازى.

تتبعت عينيّ نور يديه وهي لا تستطيع السيطرة على تلك الرجفة التي اعترتها وهو يشير إلى الشاليه، لكن محاولته باءت بالفشل؛ فلم تنطق بكلمة فاقترب منها إلا أن نور أجفلت من تقدمه هذا فنهضت مذعورة في حركة خرقاء ثم تهرول لتلوذ بالفرار تجاه الشاليه، تلتفت وراءها لترميه بنظرة خوف ثم تعود تجري لا تلوي على شيء.

حدَّق في أثرها بدهشة وذهول مما جعل قلبه يخفق هو الآخر بشدة، لقد أخافها دون أن ينوي فعل ذلك، لكن ما الذي أقدم عليه لتكون تلك هي ردة فعلها؟ من الطبيعي أن يحاول أي رجل التعرف عليها-لا ما حدث لا يمكن أن يكون طبيعي بأي حال من الأحوال-أراد أن يلحق بها ليطمئنها-يحميها لكن مما! لن يعلم بالتأكيد-إلا إذا كان هو نفسه بهيئته وشكله من أخافها- أيعقل هذا؟

- لا يمكن أن أكون بتلك البشاعة-أثرتي فضولي أكثر يا ملاكي الجميل.

لمعت عيناه ببريق لامع عندما جالت فكرة بخاطره فقرر تنفيذها على الفور؛ فتحرك صوب الشاليه يبحث عن أم عمر التي اختفت تماماً؛ سأل عنها الحارس الذي أخبرنه بزيارتها لجيرانهم أخذ آسر نفسًا عميقًا، وكأنَّ الأمور تُهيِّئُ نفسها له وفقًا لما يريد؛ فقد كان ينوي أن يبعث أم عمر للاطمئنان على ملاكه الخائف لكنها استبقت الأحداث وذهبت دون طلبه، إذن ملاكه لا يخاف من كل الناس فهي تستقبل أم عمر،أم أنها تخاف الرجال فقط؟.

- حسناً سوف أنتظر عودة أم عمر لأحصل منها على معلومات إضافية عن ملاكي.

تمتم في نفسه.

عرجت أم عمر على جده نور للاطمئنان فقد رأت الحفيدة تنطلق منذ الصباح نحو الشاطئ وشعرت بالسعادة؛ لكونها خرجت من عزلتها التي فرضتها على نفسها خاصة الأسابيع الماضية لكن عاد الذعر ليدُبّ في نفسها عندما رأت السيد آسر الطيب يتجه صوبها، و توقعت حدوث مشاكل وبالفعل ما هو إلا بعض الوقت ورأت نور الهاربة، فأسرعت الخُطَى نحو الشاليه لتستطلع ما وصل إليه الأمر، دقت على الباب فلم تسمع إجابة تساءلت أين ذهبت نور؟ فجدتها ضعيفة السمع لن تفتح لها حتى ولو انطبقت السماء على الأرض، طرقت مرة أخرى ونادت بصوت عال:

- نور إنها أنا أم عمر افتحي عزيزتي.

فتحت نور الباب عابثة:

- تفضلي يا أم عمر.

- كيف حالك اليوم يا ابنتي؟

سألتها السيدة أم عمر ملاحظة شحوب وجهها الشديد بخير سيدة أم عمر تفضلي، جدتي ما زالت نائمة حتى الآن.

عندما سمعت نور الطرقات الأولى على الباب هلعت؛ هل لحق بها الرجل إلى الشاليه؟

فلم تجب لعله يملّ ويرحل في النهاية لكن عندما جاءها صوت أم عمر هرعت تفتح الباب وقد هدأت نفسها بعض الشيء وشعرت بالراحة، فعلى أي حال ها قد جاءتها النجدة من حيث لا تدري.

- ما رأيك بفنجان من القهوة؟

قالت أم عمر تفكر بأنَّ هذه الفتاة بحاجة إلى مُنبِّه قوي وسريع ليعيد اللون إلى بشرتها، رأت نور تهزُّ رأسها موافقة فتحركت أم عمر تعد القهوة، فيما بعد جلست نور مع أم عمر تحتسيان القهوة، نظرت إليها نور بتردد لكنها استجمعت شجاعتها قائلة: - أم عمر الرجل الذي يقيم في ضيافتكم من هو؟

- هل قابلته؟

أومت برأسها فقالت أم عمر متجاهلة معرفتها المسبقة بذلك:

- أين وكيف؛ فأنتِ لا تخرجين إلا نادرًا مع أني حاولت معكِ كثيرًا!

ردت نور وهي تهزّ أكتافها:

– أردت أن التنزه على الشاطئ وأسبح قليلاً ففاجأني وأنا ممددة على الرمال، حاول التكلم معي ولكنِّي لم أعطه أي فرصة،تركته ورحلت.

تجنبت نور التطرق لما جرت عليه الأمور قبل أن تهرع هاربة.

- لا تجزعي بُنَيتي فهو سيد مهذب وهو صديق السيد يوسف موثوق به تماماً، يمضي عطلته لدينا، ويملك من حسن الخلق ما يجعل بالك مطمئناً .. صدقيني لا خوف منه اطلاقاً.

قالت أم عمر تحاول أن تزرع الطمأنينة في قلب الفتاة.

ولكن نور لم تلتفت لهذا بل ردت بحدة:

– تعلمي تمام المعرفة اني ارفض توطيد صلتي بأحد أي كان حتى لو كان صديق للعائلة ومهما كانت النوايا طيبة، أن كانت وحدته تؤرقه ويبحث عن الرفقة .. عليه العودة من حيث اتى، عليه الا يقترب مني مهما كان السبب، أرجوك يا أم عمر عليه ان يعي ذلك جيداً

هزَّت أم عمر رأسها بحيرة من موقف هذه الشابة الصغيرة المنطوية على نفسها؛ فهي تقيم في هذا الشاليه منذ سنة تقريبًا

وعلاقتها بالناس أصبحت تقريبًا معدومة باستثناء شقيقها وأمها الذين يأتون لزيارتها هي وجدتها من وقت إلى آخر، ولولا أن أمها صديقة السيدة هناء والدة السيد أمجد ويوسف التي طلبت منها أن ترعاها في غيابهم لما سمحت لها نور بالاقتراب منها. وتذكرت فيما مضى كيف كانت تلك الفتاة الشقية المرحة، والتي كانت في صحبة الانسة نيرة شقيقة يوسف على الدوام، اينما حلت أشاعت الصخب وجلبت البسمة على الوجوه، لا تعلم ما الي قلب حالها وبدلها هكذا. أفاقت أم عمر من شرودها تسمع نور تقول:

- أرجوكِ اجعليه يفهم هذا، وأعود وأكرر لا أريد أي إزعاج منه طيلة الفترة التي سيمضيها هنا ثم يرحل.

نهضت من مكانها ترفع صينية الشاي لتغسل محتوياتها قبل أن ترحل وهي تقول:

- حسنًا يا بنيتي سوف أخبره اطمئني.

شاهد آسر أم عمر تخرج من الشاليه فقرر دون تمهل أن يسألها عن ملاكه الجميل فلحق بها فيما اتجهت هي صوب المطبخ قائلاً يتصنع الهدوء:

- أين أنت منذ الصباح يا أم عمر، رغبت في فنجان من القهوة المميزة التي تصنعيها ولم أجدك.

انتظر حتى قدمت له القهوة وارتشف منها ثم قال:

- أين كنتِ كل هذا الوقت؟

نظرت إليه أم عمر وقالت:

- كنت في زيارة لجيراننا.

- وهل هم بخير؟

رمقته بطرف عينيها وقالت وكأنها لم تفهم ما يرنو إليه:

- من تقصد؟ نور أم جدتها؟

- ارتفع أحد حاجبيه بفهم قبل أن يجيب:

- لنتحدث إذن بصراحة ودون مواربة.

هزَّت كتفيها:

- حسنا، رأيتك تلحق بها،وما تلى ذلك من نتائج.

تجاهل آسر متعمداً تقريعها الغير مباشر وحاول أن يستقطبها ليحصل على ما يريد

- أتعرفين يا أم عمر عندما حدثتيني عنها توقعت أن أرى امرأة في أواخر الثلاثينيات من عمرها وقد آثرت الابتعاد عن البشر بجوار جدتها العجوز.

obeikandl.com

- لكن رؤيتك إياها خالفت جميع توقعاتك.

ردت أم عمر بتفهم.

- بل ما رأيته فاق الخيال.

- والخيال لا يستطيع المرء إدراكه. قالت أم عمر.

- ماذا تقصدين؟

سألها آسر بحدة وعندما شاهد ترددها أكمل بصوت لطيف:

- تكلمى يا أم عمر لِمَ التردد؟

- حسنًا،انظر نور فتاة انطوائية تنأى بنفسها عن الناس وأنت لن تكون استثناء لتلك القاعدة التي فرضتها على نفسها.

- وما أدراك أنتِ قد أكون أنا من يكسر هذا القانون.

- لن تتمكن من ذلك أبدًا يا سيدي،أتريد أن تعلم ماذا قالت لي عنك؟

انفرجت عن شفتيه ابتسامة متلهفة:

- بالطبع أريد، تكلمي، ماذا قالت؟

obeikandl.com

- طلبت مني أن اطلب منك أن تبتعد تمامًا عنها وأن لا تقترب مطلقًا منها مهما حدث إلى حين رحيلك فآخر ما تريده هو الإزعاج.

انحسرت ابتسامته وكشَّر قائلاً:

- حسنًا يا أم عمر أشكرك.

أولاها ظهره وهو يمشي بعيدًا فيما أخذ منه الغضب كل مأخذ فيما سأل نفسه،ما بك غاضب هكذا يا آسر؟

هل تملَّكَك الغضب لمجرد رفض امرأة اقترابك منها؟ لِمَ! فأنت في غنى عن عقد أي علاقة جديدة؟ فيكفي أن تشير بأصبعك فيأتين إليك زاحفات، أم أن هذا ما أغضبك أن امرأة لأول مرة ترفضك؟ لقد قالت لك أم عمر أنك كمن يحاول إدراك الخيال،أم أنها تشكل تحدي لك وسؤال تريد إجابته،ما سر انعزاليتها في هذا المكان الذي لا يصلح للسكن الدائم بل مجرد مكان لقضاء العطلات،تُرى ما السر وراء ذلك؟

لم يتعود أن يقف ساكنًا أمام العديد من علامات الاستفهام ولم يرفض خوض التحديات مطلقًا بل يقابل التحدي بتحدي، علَّت شفتيه ابتسامة وبرقت عيناه،فمن الواضح أن الأيام القادمة تحمل الكثير من المفاجآت!

●●●

obeikandl.com

(٢)

على الرغم من أن نور لم يُغمض لها جفن ليلة البارحة إلا أنها استيقظت مبكرًا لا تعرف ما الذي جعل ليلتها صعبة حقًّا! فكرة لامعة خطرت على بالها بما أنها لم تستطع النوم؛ فالتقضي بعض الوقت بمراقبة شروق الشمس الذي سيجلب لنفسها بالتأكيد بعض الطمأنينة بعد أرق الأمس، وفكرت أن الرجل المعتوه الذي فاجأها بالأمس لابد أن يكون نائمًا الآن،حاولت أن تمحي من ذهنها ما حدث عند الشاطئ وتتناسى عودة الشعور بعدم الأمان والرعب في ظل مقابلة الأغراب. وتساءلت إلى متى سينتابها هذا الشعور المؤلم، لقد حاولت السيطرة عليه كثيرًا ولم تتمكن،حتى زيارتها للطبيبة النفسية لم تأت بنتيجة فعالة تخرجها من تلك الحالة.

بعد أن أخذت حمام سريع ارتدت تيشرت خفيف بدون أكمام وبنطلون جينز،دخلت المطبخ لتعد كوب من الشاي وهي لا تستطيع السيطرة على شعورها بالضيق؛ فقد اعتادت على جو الهدوء الذي كانت تعيشه في ظل مخبئها الخالي من التعقيدات دون أن يعكر صفو هذا الهدوء شيء، وسألت نفسها لِمَ تشعر

أنها مهددة؟ أولم تُطمئنها أم عمر؟ ثم إنها أصبحت تعرف من هو، سبب ظهوره المفاجئ ، لكنها بالرغم من ذلك تشعر أن الحال تغير ولن تعود الأمور إلى سابقتها وأن وجوده في الشاليه المجاور يشكل خطرًا عليها لا تعرف سببه! انتبهت من شرودها على صوت غلاية الماء وهي تُصفِّر فأطفأتها وصبَّت الشاي في كوب، وأحضرت قطعة كورواسون لتأكلها، ثم خرجت لتجلس في الحديقة تتابع الشروق الذي يُبهرها كالعادة بكيفية تدرج تلك الألوان المبهرة في السماء، ظلت عيونها معلقة تجاه المنظر الساحر حتى اكتمل قرص الشمس في العنان.

تنهدت نور بخفة و سعادة و هي تمط جسدها و تستنشق رائحة الهواء المُشبَّعة باليود الذي بعث به ماء البحر وقد اختلطت به الروائح العطرة التي عبقت بها الحديقة،أحسَّت بوخز في رقبتها يُشعرها أن هناك أحد ما يراقبها فدبَّ الذعر بقلبها لا،لا يمكن أن يكون هو،إنه لا يعرف مكانها،كيف وجدها ؟ رفعت عينيها تتلفت حولها تبحث عن مُرَاقِبها فوجدت المتلصِّص الوقح من شُرفة غرفته بالشاليه تداعب شفتيه ابتسامة لعوب، ثم يشير إليها بمرح ساخر ويبعث لها بقبلة نفخها في الهواء؛ تجمدت مكانها محدِّقة فيه تشعر بالراحة لخطأ تفسيرها وبالرغم من ذلك تملكها الغضب من تلك الجراءة التي يمتلكها هذا الشخص،

حدَّقت به ترفض أن تخفض عينيها أولاً،كفاها ما انتابها من رعب بالأمس على الشاطئ منه وكان شاهداً عليه هذا الوقح، والآن وقد عرفت من هو فلا خوف عليها منه ورغم ذلك فهو يثير شعور متناقض داخلها ما بين الغضب والسخط.

انتظرت أن ينسحب داخل غرفته بعد أن رمقته باشمئزاز و لكنه ظل مكانه مُحدقًا بها باستمتاع فنهضت مرغمة إلى الداخل،تُحرك رأسها يمينًا ويسارًا ساخطة:

- وقح، معتوه،مُختال بنفسه.

ضحك آسر باستمتاع عند رؤيتها تتحداه بنظراتها المُحمَّلة بالكثير من المعاني ثم دخولها إلى الشاليه بعد أن رمقته باستعلاء، وفكر كم تبدو جميلة جدًّا وهي غاضبة،على الأقل لم تخف منه هذه المرة كما فعلت على الشاطئ، استرجع تلك اللحظات واتسعت ابتسامته فبالرغم من أن ثوب سباحتها محتشم إلا أنه أظهر رشاقة جسمها المذهل وجمال ساقيها الطويلة،حورية بحر خرجت من لوحة مرسومة بدقة تفتح ذراعيها في دعوة لمعانقة الأمواج.

وعندما حدقت به بذعر سحره لون عينيها الجميلتين اللتين رأى فيهما لون الحدائق الخضراء في بهائها معانقةً شعاع الشمس، حتى تلك اللمحة الحزينة أذهلته وخطفت أنفاسه!

فهو لم يرَ مثل جمالهما في حياته قط،حتى في كل النساء اللاَّتي مررن في حياته.

تلك النظرة الغريبة المُشبَّعة بالحزن كما لو أنها مخلوق جريح كسرته الحياة،حتى اختلاف تصرفاتها بين الأمس و اليوم أذهله؛ فالمخلوق الجريح اختفى لتحلّ مكانه قطة ذات مخالب حادة،تتهَّد بصوت مسموع ثم دخل من الشُرفة وهو يتثاءب فقد جفاه النوم بالأمس،فقد سكنت عقله حتى أحلامه أثناء غفوته المتقطعة احتلتها هي وحدها؛ فقام من مَرقده مع شروق الشمس وفيما يفعل ذلك،تحرَّكت عيناه تجاه الشاليه دون إرادة منه فرأى ملاكه الرقيق تجلس باستمتاع في الحديقة؛ فانشغل بتأملها عن ملاحظة تتدرج ألوان السماء،أحس بالوخز في يده التي تاقت لتلمس تلك البشرة الناعمة حتى رفعت رأسها ملاحِظةً احتلاله لشُرفته وغزلتها، لا يعلم لِمَ أراد إغاظتها! أم أنَّ تصرفه جاء تلقائيًّا؛ فكل ما فعله هو إلقاء تحية مرحة تصحبها قبلة في الهواء ردت عليها باستعلاء والمغادرة بعدها،أفاق من أحلامه عنها على صوت مَعِدَته تُقَرقِرُ مُعلنةً رغبتها في الطعام،اغتسل سريعًا وبدَّل ملابسه وذهب يبحث عن أم عمر ووجبتها اللذيذة.

دلفت إلى غرفة المعيشة تستشعر ذلك الغضب الذي أخذ منها كل مأخذ؛ أكان يراقبها كل هذا الوقت دون أن تشعر،أي نوع من الرجال هو؟ طرقت ذهنها تساؤلات غير منطقية .

كم يبلغ من العمر؟ متزوج؟ أم له في كل مَرْفأ امرأة،ربما ليس واحدة،ربما كثيرات طغى عليها إحساس الفضول،مما جعل الخجل يتملك نفسها،رجل في عطلة يحاول الحصول على تسلية،لا،لن تدعه يؤثر عليها بتصرفاته الوقحة والجريئة،فلتنساه تمامًا، وتركز على كتابة قصتها الجديدة، فقد تدفقت الأفكار وتبلورت في ذهنها، سوف تعطي نفسها فرصة حتى الظهيرة ثم تشرع في العمل، جلست في غرفة المعيشة تستند إلى مكتبها الصغير تتأمل الغرفة بجوها المريح الهادئ، فقد طُلِيَت الغرفة باللون الأبيض وزُيِنَت النوافذ بستائر بيضاء بخطوط زرقاء خفيفة، وتحوي أريكتين حديثتي الطراز وأربع كراسٍ و مِقعد هزاز كان من مقتنيات أمها، بالإضافة لجهاز تلفاز ورفّ يحتوي على ألبومات وإطارات صور تضم العائلة، فأضفى كل هذا جو مريح وحميم على الغرفة. تنهدت ثم حولت عينيها وفتحت اللاب توب وشرعت في العمل بحماس وبدأت تكتب في العدد الثالث من سلسلة لوليتا وهي اسم الطفلة المغامرة التي تدور أحداث القصص حولها، وكل عدد يتناول مغامرة أكثر إثارة من سابقتها وبالرغم من أنه قد نُشِر لها عددان فقط حتى الآن من السلسلة إلا أنها تركت صدى

كبير بين الأطفال و الكبار. وفيما هي مستغرقة تكتب خُيِّل إليها أنها تسمع صوت بكاء طفل رضيع! ضاقت عيناها بتركيز لبعض الوقت،ثم ابتسمت:

لا إنه مواء قطة، لكن من أين يأتي يا تُرى؟

وقفت واتبعت صوت النواح حتى وصلت الباب الخلفي للكوخ، فجالت بعينيها في المكان فرأت قطة صغيرة تجلس متقوقعة على ذاتها أعلى إفريز النافذة تنظر إليها كأنها تستغيث و تقول:

- أنقذيني أنا قطة صغيرة.

ابتسمت لجموح خيالها فلطالما أحبَّت الحيوانات لا سيما القطط منها، حدَّثت القطة بحنان وتعاطف و قالت:

- لا بأس عليك يا صغيرة لا تخافي سوف أنقذك حالاً.

أتت بسُلَّم الحديقة لتنقذ القطة الجميلة وتسلقته،مدَّت ذراعيها لتلتقطها.

- ها أنتِ،أمسكت بكِ،أرأيتِ يا صغيرتي أنتِ في أمان تام.

اختل توازنها فضمت القطة إلى صدرها،ولكنها أدركت أن السُلَّم تحرك بالفعل من مكانه،الوقوع موشك لا محال،آه،إنها

بالفعل ستقع، أغمضت عينيها في رعب واستسلمت للأمر المحتوم! ارتدت إلى الخلف تنتظر سماع صوت ارتطامها بالأرض،لم يحدث شيء!

أم أنها غابت عن الوعي من قوة الوقعة،لا إنها واعية تمامًا كما أنها واعية لليد القوية المُسيطرة التي تلقفتها، فتحت عينيها مصدومة لتجد نفسها بين ذراعي من يشغل أفكارها وأدركت أنه لا يزال يحملها بين يديه؛ فطلبت منه بصوت خافت مرتجف بفعل الصدمة أن ينزلها فأنزلها ببطء لتلامس أطرافها الأرض، لفَّ يده حول خَصْرها و أحكم قبضته عليها حتى لا تبتعد عنه وعيناه تحتويها،حدقت في عينيه تشعر بقلبها يرتجف بين ضلوعها فلم تدرك بأنها أرخت يديها لا شعوريًّا عن القطة التي اقتنصت الفرصة لتفرَّ من بين يدها هاربة، شعور غريب سيطر عليها ما بالها ترتجف هكذا حتى أصبحت لا تستطيع التنفس،نظرات عينيه أخذتها لمكان آخر بعيد فتاهت في هذا العمق!

نفضت عنها تلك الأوهام و دفعت صدره بيدها بشدة تُبعده عنها فلم يفلتها، شهقت أكثر وأخذت تزفر أنفاسها الحارة في محاولة للسيطرة دون فائدة، وكم شعرت بضعفها وقلة حيلتها تحت قوة رجولته المدمرة عندما أخفض رأسه تجاه رأسها.

- يا ولد.

تركها فجأة فوقعت على الأرض تتأوَّه ألمًا، في نفس الوقت أدار رأسه تجاه الصوت الغاضب،امرأة مُسنَّة ترتكز على عصا،وجهها المتغضن بالتجاعيد التي خلفتها الزمن برقت في منتصفه عينان غاضبتان.

- كيف تتجرأ على حفيدتي هكذا،أولم يعلموك ذويك الأدب،ألا تتحلّى بأي أخلاق،تتعدى على بيوت الناس وتتحرش ببناتهم دون أدب أو خشية.

نهضت نور ووقفت بجانب جدتها ترمقه بوجهٍ شاحب،في الوقت الذي استعاد فيه أنفاسه ورباط جأشه.

- سيدتي أنا.

قاطعته مواصلة تقريعه:

- أنت ماذا،بإمكاني الآن ضربك بهذه العصا حتى تسترد وعيك وتتصرف بأدب»

بالرغم منه انفرجت شفتاه عن نصف ابتسامة،فبعد ما وصل به العمر للثلاثينيات هناك من يبغي ضربه بالعصا لتهذيبه،سارع لتصحيح الأمر وتهدئة الجَّدة:

- سيدتي أنا أعتذر بشدة،يبدو أنكِ فهمت الموضوع بطريقة خاطئة.

قاطعته مرة أخرى،

- أي خطأ!! ،لقد أمسكت بك وأنت تحاول تقبيلها

- لاسيدتي،كادت أن تقع من فوق السلم،كنت فقط أتفرَّسُ بها لأعلم إن كانت تأذَّت أم لا.

أدار رأسه تجاه نور:

- أليس كذلك،آنستي؟

فغرت نور فمها وعقلها يردد الكاذب،الوقح،

عاد للحديث مع الجدة:

- أرأيتِ سيدتي،هي لم تتفوه بكلمة.

أهو مجنونًا،حدثت نور نفسها،آه،لا،لا ليس ثانيًا،ألا يكفيني مخبول واحد،هل ستتكرر المأساة مرة ثانية؟ يجب أن أدخل و أطلب الشرطة،

لكن ما منعها أنها تذكرت ما قالته أم عمر عنه في زيارتها الأخيرة و طبيعة علاقته بيوسف فقالت:

obeikandl.com

- اتركيه يا جدتي،ارحل من هنا من فضلك ولا تعد مرة أخرى حتى لو انطبقت السماء على الأرض وأشارت إلى سياج الحديقة وأكملت:

- لا تتخطى هذا السياج مرة أخرى،و إلا سأطلب الشرطة في المرة القادمة.

هزَّ آسر رأسه متصنع الأسى و نظر في عينيها قائلاً:

– ناكرة للجميل.

حدقت نور فيه فاغرة فمها فهزّ رأسه وأكمل:

– نعم ناكرة للجميل لقد أنقذتك وحميتك من وقوع وشيك كاد أن يدق عنقك الجميل هذا، وبدلاً أن تشكريني بشكل لائق تقومين بطردي!

تدخلت الجدة: يا ابني،أنت.

قاطعتها نور وقد تملكها الغضب من وقاحته:

- هاي، أنا لا أعرفك حتى يا هذا! ولم أطلب منك النجدة كي تتدخل فيما لا يعنيك حتى أشكرك،إن لم تخرج من هنا سأتصل فعلاً بالشرطة لتضع المتطفلين أمثالك مكانهم.

- كم هذا ممتع! علَّق بسخرية وقد لمعت عيناه.
- حسنًا هيا أنا أنتظر قدوم الشرطة.
- ثم شبَّك ذراعيه فوق صدره وأكمل:
- أنا عاشق لناكرة للجميل.

عنَّفته الجدَّة: «هاااي يا ولد تأدَّب»

- اتركيه يا جدتي إنه يهذي.أمسكت بذراع جدتها:
- لندخل. أولته ظهرها وهي تقول:
- عندما تكتفي من المكوث في الحديقة،خذ شياطينك معك وارحل دون عودة.

أغلقت الباب خلفها ثم اصطحبت جدتها إلى غرفة المعيشة وأجلستها ثم أدارت رأسها نحو النافذة في فضول؛ لتعلم هل مازال مكانه أم رحل وبالفعل رأته يخرج من البوابة،في نفس الوقت الذي علا رنين الهاتف،إنه موعد اتصال والدتها ترددت قبل أن تجيب إنها ليست في حالة تسمح لها بالكلام،فهي لم تهدأ بعد ما حدث منذ قليل ووالدتها ستدرك حتمًا أن شيء ما حلّ بها أو بجدتها وإن لم ترد ستقلق أكثر فماذا ستفعل!

أخذت نفسًا عميقًا و هيأت نفسها لتجيب ثم رفعت السماعة:

- مرحبًا أمي كيف حالك؟

سمعت نور رد أمها من الطرف الآخر للهاتف تقول:

- بخير حبيبتي،لا ينقصني سوى عودتك

- أمي من فضلك لن نتحدث في هذا الموضوع مُجددًا،أنا مرتاحة هكذا.

- وجدتك يا نور.

تعلم نور كم تشتاق أمها لوالدتها التي صممت على ملازمة نور خوفًا عليها خاصة بعد ما عانته فيما مضى.

حاولت نور طمأنة أمها:

- ما بها جدتي يا أمي،إنها بخير تمامًا معي، أنتِ فقط لا تقلقي نحن بخير كما قلت لكِ آلاف المرات».

وصل اليها صوت أمها مختنق بالعبرات:

- كيف لا أقلق فأنتِ صغيرتي الحبيبة،بتصرفك هذا جعلتِ قلبي يئنُّ حزنًا أريد من ابنتي أن تعود كما كانت،نور الشقية المرحة التي كانت تحلّ وتحلّ معها تلك الضحكات التي كانت تتردد أصداؤها في أركان البيت.

صمتت بعض الشيء ثم أضافت بتصميم:

- يمكنك تخطي ما حدث،فأنا أعلم أن داخلك أقوى من ظاهرك،لن أقول لكِ عودي الآن بل سأقول حاولي أولاً أن تخرجي نفسك من تلك القوقعة،مرة وأخرى وسترين أن النسيان لا يوجد ما هو أسهل منه.

أخذ نور التأثر بتلك الكلمات ذات العمق الموجع وسكتت بعض الوقت ثم قالت بصوت يعبر عن فهمها لشعور أمها الحبيبة:

- حسنًا يا أمي اهدئي أنتِ وأنا إن شاء الله سأفكر في الأمر.

خطت بالهاتف نحو جدتها وهي تكمل:

- أبلغي سلامي لوليد وها هي جدتي معك.

سلمت الهاتف لجدتها ثم قادتها قدماها نحو النافذة تتطلع نحو البحر تنظر نحو ما هو أبعد منه وشريط ذكرياتها المُرّ يمرُّ أمام عينيها، فرغم حرصها على ألا تكشف لأمها تفاصيل مأساتها حتى لا تتعذب بسببها إلا أنها مع ذلك تتألم،تساءلت: ألم يجعل الله من النسيان نعمة ينعم بها كل البشر دون استثناء؟

فمالها لا تنسى! الألم هائل، لازالت تشعر به يلتف حولها كَحيَّة سامة يضغط عليها ويخنقها. حاولت نفض تلك الصور المتلاحقة واستندت على حافة النافذة بذراعيها، تحيط وجهها براحتيها تركز على المنظر أمامها فرأت جارها الوسيم يخرج من بوابة الشاليه ويسير في اتجاه الشاطئ، تطلعت إليه بتأمل وهو غافل عنها، شعور غريب يزحف نحوها ويجعله يحتل مكانًا في نفسها، عندما اقترب منها سَرَت نارٌ في عروقها وعادت الرجفة لأطرافها،

تجهم وجهها وأخذت تردد: «من يأمن شر الرجال ومكرهم،مهما كانت النوايا فهي بالتأكيد لا تحمل من الخير شيء»

التفت خلفه ورآها،فتجمدت مكانها لا تستطيع التنفس فيما أخذ هو يلوح لها فأسرعت تغلق النافذة بارتباك وهي تقول مرتبكة:

- بلا شك الرجل مجنون تمامًا ودائمًا ما يوقع بي!

مرَّ باقي اليوم بسلام وهدوء نسبي من كلا الجانبين لم يعكر صفوه غير مرض الجدة المفاجئ واتصال نور بشقيقها وليد الذي حضر، وبعد إقناع وإلحاح من نور وافقت على العودة معه إلى البيت وكذلك لم يستطع وليد إقناع نور بمرافقتهم، بل حرصت

على إقناعه أنها بخير هنا تمامًا وأن أم عمر تعتني بها، وأن المكان آمِن كفاية حتى يتركها كما تحب وترغب ونسبة إلى الظروف، وحرص وليد على راحة شقيقته فاقتنع أخيرًا وأخذ الجدة ورحل.

وفي الصباح الباكر انطلقت نور نحو السوق.

للتسوق و زيارة المحلات من باب التغيير فهي رغمًا عنها اشتاقت للتجول هنا وهناك كما كانت تفعل في الماضي، وتذكرت المقهى السوري الذي يقدم أحلى قهوة و فطائر مُحلاَّة حيث اعتادت هي ونيرة صديقتها المُقرَّبة أن يذهبا إلى هناك؛ ليتناولا القهوة و يستمتعا بطبق كبير من الفطائر اللذيذة بعد يوم حافل من التنزه و التسوق، ولكن نيرة تزوجت رجل أعمال مغربي وتقيم معه الآن،حتى إنها اشتاقت إليها كثيرًا ،استمتعت بالتجول والشراء وجلست في المقهى السوري،والذي لم يصدق صاحبه عينيه عندما رآها تدخل المقهى فحياها الرجل العجوز قائلاً:

- صغيرتي نور، يا أهلاً، أطلتِ الغيبة يا ابنتي،أين الشقية الأخرى؟

ضحكت نور برِقَّة وقالت:

- مرحبًا عم محمود صغيرتك نيرة تزوجت و مقيمة في المغرب مع زوجها ،وها أنا أمامك وقد اشتقت لفطائرك اللذيذة ألا يكفي؟

رَبَّت على يديها وقادها نحو طاولتها المفضلة وهو يقول:

- يكفي بالطبع،كما أني لم أنسَ مكانكِ المفضل،لحظات وسيكون أمامكِ أحلى الفطائر.

أكلت طبق كبير من الفطائر بشهية مفتوحة وعيناها تتجول هنا وهناك ثم نظرت في ساعتها،حان وقت المغادرة لكي تلحق بالحافلة، ألقت التحية على عم محمود ونَقَدتهُ ثمن القهوة والفطائر رغم معارضته الشديدة، وأسرعت الخطى تعبر الطريق لتلحق بالحافلة و يديها محملة بمشترياتها؛ فلم ترى السيارة المسرعة التي كادت أن تصدمها لولا الذراعين اللتان رفعتها فوق الرصيف ليحتضنها جسد ذو رائحة مألوفة،رفعت رأسها نحو منقذها، ترتجف من الصدمة فكأن توقعها في محلّه،إنه هو فرددت داخلها آه يا إلهي،لا ليس أنت ثانية،من أين يأتي!

اتهمته بصوت غاضب:

– كالعادة تتبعني ألا يشغلك شيء عن ملاحقة الفتيات يا هذا،ماذا تريد؟ لقد مللت من تصرفاتك.

فغر فمه وهو يحاول استيعاب تلك الثورة التي تملكتها ومهاجمتها له:

- أتبعك ولماذا أتبعك! من أنتِ حتى أفعل؟ تصرفاتك أنتِ المُبَالغ فيها،كما أنكِ تتصرفين كالأطفال،تعرضتِ لحادثين منذ أن رأيتكِ حتى الآن، ولولا مروري لكان الله أعلم بحالك وتقولين أتبعك،حقًّا أنتِ مجرد طفلة لا تعي شيء!

رمقته باشمئزاز وعدم تصديق لاتهاماته الظالمة،جزَّت على أسنانها غيظًا:

- ما هذه السخافة! دفعته عنها وهمَّت بالابتعاد عنه.

- انتظري.

التفتت إليه: - ماذا الآن أيها المعتوه!

أشار إليها في هدوء محذرًا إياها قائلاً:

- احفظي لسانك آنستي فأنا لن أتحمل كثيرًا لسانك السليط هذا، فكري قبل أن تنطقي حتى لا ينتابك الندم بعدها.

- هل انتهيت من إلقاء محاضرتك؟

- ليس بعد،سوف تعودين معي.

- لا.

- بلى، وأغلقي فمك هذا تمامًا لا أريد أن أسمع صوتك، يكفي حادثان في أسبوع واحد،هيا سيارتي هناك.

oberkandi.com

أشار إلى الرصيف المقابل.

لا لن تعود معه،مهما كان هو إنسان غريب عنها.

- لا ابتعد عن طريقي،خدماتك اللعينة مرفوضة،هيا ابتعد!

إلا أن آسر وقف في طريقها بإصرار:

- أنا أصر على إيصالك إلى بيتك فالله أعلم بما قد تسببه لنفسك،هاتي سأحمل مشترياتك عنكِ فأنتِ تكادين تقعين مكانك.

- لا.

صرخت الكلمة بصوت عالٍ فزع وأزاحت يديه عن مشترياتها بشدة و عنف:

- أنا أكره أن أراك أمامي فكيف أسمح لك بإيصالي.

تأفف من موقفها وقال:

- ألم تتعبي من المقاومة والعناد بعد،أنا لن أقف طويلاً لتتجادلي معي فقد أضعت من وقتي الكثير، سترافقينني إلى السيارة أم أحملك إليها؟

نظرت إليه بعدم تصديق وذهول ثم عادت دقات الأجراس لتدوي في رأسها؛ لِمَ يبدو مصممًا على ركوبها لسيارته هكذا،من هو حتى يفعل ذلك،أشد المقربين منها لا يستطيعون إرغامها على ما لا تريد،من هو وماذا يريد منها؟

- لا،لا،ألا تفهم! ثم من أنت حتى تأمرني! ابتعد عنِّي الآن وفورًا وإلا ملأت الدنيا صراخًا.

نظر إليها في قسوة ولم يتحرك من مكانه،ازدادت خشية نور،فهي لا تتوقع تصرفه التالي! قد يفعل أي شيء ليغيبها عن الوعي لينفذ مآربه منها! رمت مشترياتها بدون تفكير في وجهه وأطلقت ساقيها للريح،وقف آسر يحدق في أثرتها وقد تملكته الدهشة،ساخطًا أشد السخط يتمنى أن يدق عنقها لما فعلته وفي نفس الوقت يريد أن يضحك، وبالفعل أخذ يقهقه رغمًا عنه حتى دمعت عيناه ثم حاول استرداد أنفاسه وهو يتمتم:

- لا،لن تهربي هذه المرة .

هرول خلفها حتى لحقها وعندما أدركها أمسكها من ذراعيها يديرها تجاهه يهزّها بشدة حتى اصطكت أسنانها ببعض،وقال بقسوة:

- أولـم أنـذرك منـذ قليـل مـن العواقب،هيـا تعالـي والتقطـي مشـترياتك المبعثـرة علـى الطريـق أولاً.

خافت نـور أشـد الخـوف وأخـذ جسـدها يترجـم مـا وصـل إليـه مـن إشـارات، وأخـذ يعمـل علـى الفـور لمواجهـة خطـر الإرهـاب هـذا ولكنـه عجـز أشـد العجز،حدقـت بـه شـاحبة الوجـه وقـد خلـى منـه الـدم تضغـط علـى صدرهـا بيدهـا الحـرة؛ لتوقـف ضربـات قلبهـا المدويـة التـي أصمـت أذنيها،جنـح عقلهـا إلـى تلـك الحقبـة مـن الزمـن بالرغـم عنهـا فأطـاح بهـا داخـل دوامـة مـن الصـور المتلاحقـة، وأخذت الدنيـا تـدور بهـا وتـدور حتـى تهـاوى جسـدها بضعـف في إغمـاءة عميقـة!

●●●

obeikandl.com

(٣)

صداع عنيف يكاد أن يفتك برأسها،تلك الطبول أخذت تدق وتدق دون رحمة،تأوَّهت بضعف وهي تحاول فتح عينيها، رمشت عدة مرات قبل أن تتسع حدقتاها في محاولة لاستيعاب محيطها ثم استندت على كوعها،شيئًا فشيئًا انتبهت،أين هي! تأوَّهت قبل أن تهمس:

- أين أنا؟ جالت بعينيها في الغرفة حتى تعرفت عليها ، معقول ، ا لشا ليه !

انتصبت في الفراش وقد أدركت أنها فعلاً في شالية الغازى وتحديدًا في غرفة الضيوف ممددة على سرير سبق أن استلقت عليه كثيرًا،لكن كيف أتت إلى هنا؟

ثم تذكرت ما حدث معها قبل غيابها عن الوعي فأغلقت عينيها ودفنت وجهها في الوسادة وهي تتمتم:

– آه يا ربي،لقد ابتليت بهذا الرجل.

رفعت رأسها عن الوسادة مرة أخرى تستعد لتنهض من الفراش قائلة في نفسها:

- يجب أن أتحرك بسرعة وأعود إلى الشاليه قبل أن يأتي ويفرض وجوده وإن حدث أنا على استعداد لمواجهته، بل ومستعدة أيضًا لقتله إذا تحتم الأمر، لقد فرض وجوده بالرغم عني،نَعَتنِي بالطفولية،الوقح، النذل،سأريه أي طفلة مدللة أنا فليتحمل عواقب فعلته معي، إن كان يريدها حرب فأنا مستعدة ولن يجد الخوف سبيله إلى نفسي.

لاحظت أن ألم رأسها، خف بعض الشيء.

سمعت الباب يفتح فتأهبت للدفاع عن نفسها ضد الغازي ومحاربته إن أمكن، ولكن تملكتها الدهشة الشديدة عندما طالعها وجه طالما اشتاقت له كثيرًا، وفغرت فمها كالبلهاء لبعض الوقت ثم تهلل وجهها بأجمل ابتسامة مشرقة وتحركت تشير بيدها بعدم تصديق كامل وقالت بذهول:

- نيرة إنه أنتِ أليس كذلك أنا لا أحلم.

فركت عينيها بشدة لتصحو من حلمها الرائع، ثم تطلعت مرة أخرى تجاه الباب المفتوح فوجدته حقيقة واضحة، اتجهت نحوها الفتاة الفاتنة ذات الشعر الأسود الكثيف والملامح الغجرية التي طالما أبهرت الرجال بدءًا من عينيها العسلية الواسعة وأنفها الصغير الشامخ إلى شفتيها الممتلئة، ترتدي فستان صيفي خفيف

أخضر اللون،خطت للداخل فيما علَت شفتيها ابتسامة رقيقة، ومدَّت ذراعيها لتعانق صديقتها العزيزة على قلبها،قائلة:

- وأخيرًا الأميرة النائمة تعود إلى عالم الأحياء مرة أخرى،لقد اشتقت إليكِ جدًّا يا نور.

تعانقا بشدة، وخبطا كفيهما ببعض كما كانتا تفعلان في الماضي ثم قهقها بشدة وعندما هدأت نوبة الضحك،حاولت نيرة أن تكون جدية بعض الشيء:

- والآن صديقتي ماذا حدث؟ لم أكد اتجاوز الباب الحديدي أنا وزوجي حتى رأيت آسر يحملك وأنت غائبة عن الوعي تمامًا،ثم يصعد بكِ إلى هنا والقلق كاد أن يفتك به من روعه عليكِ، وعندما استفسرت منه حول ما حدث قال إنه أغمى عليكِ في الطريق من السوق إلى هنا، ورفض أن يكمل الحديث إلى أن يطمئن عليكِ.

وتذكرت نيرة منظر آسر وهو يحمل نور صاعدًا درجات الشاليه مسرعًا يتملكه القلق عليها ووجهه يكتنفه شحوب شديد،ينادي على أم عمر في هياج شديد يطلب منها أن تسبقه لتفتح باب غرفته؛ ليضع نور على السرير. تبعته نيرة لتطمئن على صديقتها متعجبة لأمره وهي تراه يضع نور على السرير بكل

حنان ورقة،تقرأ اللهفة في عينيه وهو يتفحصها ثم يجس نبضها حتى اطمئن أنها بخير ونائمة بسلام، ابتسمت نيرة رغمًا عنها وهي تهزّ رأسها في حيرة ثم جلست بجوار نور الغائبة عن الوعي وعلامة استفهام كبيرة تحتل رأسها:

- ماذا حدث يا نور؟

أظلمت عينا نور فهي لم تنسى بعد الوقح وإرهابه لها وها هي نيرة الآن تستفسر عن ما حدث وقد شاهدتها وهي محمولة بين ذراعي هذا المعتوه لا تعي شيء، استندت على الوسادة خلفها ثم قالت: «لم يحدث شيء كنت أتسوق وعند عودتي محملة بالمشتريات كادت أن تفتك بي سيارة مسرعة فأنقذني آسر هذا فقد صادف وجوده في نفس المكان « هدلت كتفيها وأكملت:

- أظن أن الصدمة أفقدتني الوعي،هذا كل شيء. ثم تعمدت أن تغير الموضوع وهمست بابتسامة حزينة:

- اشتقت إليكِ كثيرًا،افتقدتكِ أكثر وأكثر وعودتك مفاجأة مذهلة.

اعتدلت نيرة في جلستها وهي تقول بمرح:

- وأنا أيضًا اشتقت إلى أختي وصديقتي،اتسعت ابتسامتها

وأضافت و هي تربت على بطنها في حنان:

- أنا حامل، وأقنعت آدم أن أقضي فترة حملي هنا في مصر مع عائلتي.

أسرعت نور تعانق نيرة:

- ألف مبروك،ألف مبروك.

توقفت بَرهة ثم ابتعدت عن نيرة وأكملت:

- في تلك الحالة بالتأكيد سيرحل السيد غير المرغوب به.

ضاقت عينا نيرة بتساؤل: «عفوًا،ماذا تعني لم أفهم»

أشرق وجهها في أمل: «أقصد هذا الآسر»

ضحكت نيرة ثم هزّت رأسها بالنفي قائلة:

- بالطبع لا،سوف يكمل عطلته كما هو متفق فهو يحتاجها بشدة كما قال يوسف فقد تملكه الإرهاق والتعب في العمل لدرجة الانهيار،فأقترح عليه يوسف المكوس هنا لفترة ،

ثم أضافت في مرح:

- ثم حبيبتي،لا تحلو العُطلات بدون لَمَّة العائلة والأصدقاء.

obeikandl.com

تجهمت وجهه نور ولوت شفتيها بامتعاض فيما هي تحاول النهوض:

- حسنًا سوف أتركك لترتاحي من عناء السفر.

سارعت نيرة تمسك يد نور تشدها لتجلس مكانها مرة أخرى قائلة:

- لا ،لا ترحلي،وحركت يدها في استجداء تعرفه نور جيدًا:

- أرجوك يا نور، لم نكد نجلس سوياً .. دعينا نتحدث لبعض الوقت ونتبادل الاخبار، لقد مضي زمن بعيد منذ اجتماعنا الأخير .

ارتفعت زاوية فم نور بشبه ابتسامة حزينة فيما قالت بشرود:

- بالفعل مضي وقت طويل منذ أن كنا معاً، وتغيرت أشياء كثيرة .

حدجتها نيرة بنظرة تساؤل تحاول سبر أغوارها وقد تملكتها الريبة وهي ترى نظرة الحزن الشاردة التي اعتلت وجهها، هذه الفتاة التي تقف أمامها ليست نور التي تعرفها ثم ما الذي تغير ليجعلها متشائمة هكذا فقالت:

- ما بك حبيبتي ؟؟ تلك الخطوط المرتسمة فوق جبينك والنظرة الحزينة التي تنعكس خلف مقلتيك! ، تلك الأشياء تجعلني اشعر بالقلق، أخبريني أرجوك؟

obeikandl.com

ثم طرق رأسها أمر غاب من ذهنها فأضافت:

- متى رجعتِ من فرنسا؟ هل أكملتِ دراستك هناك أم ماذا؟ لم أسمع أخبار عنكِ منذ سفرك حتى أنكِ لم تكلفي نفسك عناء الاتصال بي أيتها الخائنة!

وتذكرت لحظات الوداع بينهم قبل سفر نور بيوم وأمل نور في تنمية موهبتها في العزف ودراسة الموسيقى على يد أشهر المعلمين في فرنسا.

ارتبكت نور وسألت نفسها،هل أجيب على أسئلة صديقتي الملحة،وإن أجبت ماذا أقول لها؟،هل أقول إن أحلامي التي تتحدث عنها تحطمت على أول صخرة اصطدمت بها تلك الموجة العاتية لتطيح بما تبقى منها ليصبح فتات أحلام لا،لن تقول شيء،تلعثمت وهي تحاول التهرب بشكل ملحوظ:

- أهدئي حبيبتي، لم يمض وقت على وصولك، وها قد بدأت في اتخاذ دور المحقق كعادتك دائماً، وأضافت في شبه ابتسامة: « أنت لم تتغيري أبدًا،ما زلتِ كما أنتِ دعينا من هذا الحديث الآن أكيد زوجك يفتقدك،هيا اذهبي إليه وسنتحدث فيما بعد.

استسلمت نيرة مؤقتًا وهي على يقين من أن نور تخفي عنها أمرًا جللاً؛ لقد قرأت عينيها،ارتباكها والتهرب من الإجابة.

- حسنًا ولكن للحديث بقية لن أدعكِ حتى تتناولي الغداء معنا والتهرب ممنوع،ثم أضافت في رجاء:

- هيا يا حبيبتي أتشوق لأُعَرِّفك على زوجي فقد أرهقتُ أذنيه بالكلام عنكِ وعن مغامرات المراهقة المجنونة.

لانت نور أمام إلحاح صديقتها وقالت:

- حسنًا لنتناول الغداء ثم أعود إلى الشاليه فأمامي عمل لأنجزه»

أصابت الحيرة نيرة فقالت:

- أي عمل» هزّت رأسها ثم أضافت: «حسنًا لنؤجل الحديث لوقت آخر»

نزلت نور ونيرة واتجهتا إلى غرفة المعيشة، عانقت نيرة زوجها بمحبة وشبكت ذراعها بذراعه وقالت:

- تعالي حبيبي لأُعَرِّفك بصديقة الطفولة.

أزاح المغربيّ الوسيم عينيه عن عين زوجته الجميلة ونظر نحو صديقتها قائلاً:

- أهلاً نور أخيرًا التقيتُ بكِ،صديقتك المجنونة لا تتوقف عن سرد قصص مغامراتكن.

تطلعت نور في وجه المغربيّ الأسمر ذي الملامح الجذابة ثم صافحته في تردد ففاجأها بالضغط على أصابعها في حركة مودة كما يفعل وليد؛ فشعرت بالاطمئنان إليه وردت التحية بصوت رقيق: «أهلاً بك،سعيدة بتعرفي عليك رغم أنك أبعدت نيرة عني كثيرًا ولكن يكفيني أن أراها سعيدة»

ضم آدم زوجته إلى صدره بمحبة و قال:

- نيرة هي حياتي التي لا تفارقني أبدًا عندما سنحت لنا الفرصة كي نأتي في زيارة لم نتردد وسوف نظل هنا لفترة طويلة حتى تملِّي منها.

لكزته نيرة في خاصرته وهي تقول بلوم:

- من الذي يملُّ مني يا آدم،نور لا تفعل أبدًا، وأضافت مبتسمة: «ثم احذر لقد تعودنا أن ندافع عن بعضنا البعض باستماتة وروح قوية،فإياك»

ضحك آدم وقال:

- حسنًا،حسنًا وصلت المعلومة سيدتي الجميلة»

تطلعت نور حولها ثم قالت حائرة: - أين آسر؟

رد آدم: – إنه في غرفة المكتبة،سيوافينا بعد قليل.

دخلت أم عمر و قالت الغداء جاهز والسيد آسر منتظر فرد آدم:

– حسنًا يا أم عمر سنأتي» وتطلع نحو نور ونيرة و اضاف

– أكاد أتضور جوعًا.

جلست نور بجوار آسر و نيرة و آدم في المقابل، لم تستطع تغيير الوضع دون لفت انتباه صديقتها وزوجها،حاولت تجاهله قدر الإمكان وتمنت انتهاء فترة الغداء كي ترحل وتنعم بالأمان في كوخها الحبيب بعيدًا عن الوغد المتسلط الذي يتعمد مضايقتها.

سرحت بأفكارها و أفاقت على تحديق الجميع بها فشعرت بالإحراج وقالت:

- أرجو المعذرة، هل فاتني شيء لقد شردت؟

- لقد سألتك عن صحتك الآن هل تشعرين أنكِ بخير؟

هذا ما قاله آسر وهو يخفي شعوره تحت ستار من البرود عندما عانقت ذاكرته صورتها وهي تغيب عن الوعي، وكيف تحرك بسرعة ليرفعها بين ذراعيه قبل أن يلامس جسدها الرقيق الأرض بقسوتها، وتأمل وجهها الساكن فلم يتمالك نفسه وقد

خنقته المشاعر فأسرع يضمها إلى صدره برفق وحنان كأنها قابلة للكسر، ثم حملها يمشي بها حتى السيارة و فيما هو يفعل ذلك لمح تجمهر مجموعة من الناس حولهم؛ فطلب منهم بصوت عال وواضح يحمل انفعالاته أن يُفسحوا الطريق حتى يُسعف زوجته المنهارة فتفرق الجمع كأنه لم يكن،هل فعل ذلك حقًّا؟ هل ادَّعى أنها زوجته؟ حاول اختبار شعوره لو كانت زوجته حقًّا.

لقد خرج الكلام منه تلقائيًّا دون أن يشعر! فهو لم يفكر بالارتباط والزواج من قبل بل كان يتباهى بعزوبيته وتنقله بين زهرة وأخرى،فقد كانت النساء في حياته كالزهور التي سرعان ما تفقد رونقها ورائحتها العطرة فما باله الآن يزداد تعلقًا بملاكه الفاتن،كيف تسللت إلى قلبه هكذا وسكنت جنباته؟

مرت فترة الغداء و نور تحاول متابعة الحديث الدائر على المائدة دون جدوى ودون توقع. شعرت بقدم آسر تضرب ساقها من تحت المائدة؛ فسرت قشعريرة في جسدها واحمرَّ وجهها غضبًا ورفعت عينيها عن طبقها تتوعده في صمت ولكنه تجاهل الأمر كأنه لم يحدث،تناولت الشوكة وخفضت يدها تحت المائدة وغرستها في ساقه؛ فتأوَّه رغمًا عنه وحدق بها بدهشة.هو لم يتعمد أن يضرب قدمها لقد كانت مصادفة، ارتفع حاجبه وهو يميل برأسه نحوها مستفهمًا فيما واجهتها نور بالتواء من شفتيها،مما

جعله شفتاه تنفرج رغماً عنه، فأخفى ضحكته بمنديل المائدة كأنه يمسح فمه فاستشاطت نور غضبا و قالت في نفسها الوغد يجد الموقف مضحك سأريه.

انتقلوا إلى غرفة المعيشة و اهتمت أم عمر بالقهوة والعصائر، وجلس آدم يتحدث إلى آسر عن طبيعة عمله، وطلب منه العمل على قطعتي أرض اشتراهما حديثًا فطلب منه آسر تأجيل الحديث حتى يصل يوسف ويجتمع ثلاثتهم للاتفاق، وفيما كان يتكلم لاحظت نور تطلعه نحوها من وقت إلى آخر فأدارت رأسها تجاه نيرة:

- نيرة،عليَّ العودة الآن.
- ما زال الوقت مبكرًا يا نور،تعالي نصعد لغرفتي حتى تكوني أكثر راحة.

رفضت نور وقالت:

- ليس الآن يا،لقد تركت هاتفي في الشاليه ومن المؤكد أن أمي اتصلت أكثر من مرة،لا أريد إقلاقها.

استعدت للرحيل ففوجئت بآسر يقف أمامها ويقول:

- انتظري يا نور سوف أوصلك.

- لا تتعب نفسك بإمكاني دخول بيتي دون مشاكل.

أمسك مرفقها يحثها قائلاً:

- بلا عناد من فضلك،هيا بنا .

وضغط أكثر على مرفقها يجبرها على التحرك،أدارت نور رأسها نحو نيرة تستجديها فأومأت لها تلك برأسها بأنه لا مانع من ذلك،مشت معه مرغمة.

انتظرت حتى اقتربا من مسكنها ثم قالت حانقة:

- ما الداعي لإصرارك هذا،ألا تمل أبدًا من سماع كلمة لا؟

التوت شفتيّ آسر بنصف ابتسامة فيما قال:

- لا أظن أني سأملُّ منكِ يومًا يا ملاكي،دعي أنتِ فقط القتال جانبًا وكل شيء سيصبح بخير»

- أولاً،لا تناديني بملاكي، ثانيًا لا يوجد بيني وبينك أي نوع من العلاقات لتتكلم بتلك الأريحية»

قال يغيظها: «ومن قال أنه لا يوجد بيني وبينك أي علاقة»

- هل تمزح؟ أي علاقة،منذ يومين فقط لم أكن أعلم بوجودك على سطح الكوكب.

غمز بعينه قبل أن يقول: «وها أنتِ قد علمتِ»

تأففت نور: - لا أنت غير معقول،أي مصيبة تلك التي حلَّت على رأسي،الرجل لا يفهم أبدًا. دفعت الباب الحديدي بيدها ثم أضافت: «ها نحن قد وصلنا،أشكرك غاية الشكر ولا تُرنِي وجهك الوسيم مرة أخرى.

قاطعها: «ستحزن نيرة بالتأكيد»

فاندهشت نور وقالت في حيرة: - ولِمَ؟

هزّ آسر كتفيه مجيبًا:

- أنا كرجل مهذب سأحرص على ألا يقع نظرك عليَّ مرة أخرى،وأنتِ أيضًا عليكِ تجنب أماكن تواجدي،وبالتالي،.

ازدادت دهشتها: «وبالتالي ماذا،أكمل»

- سأكون متواجدًا دائمًا مع شقيقة صديقي وزوجها،في الشاليه وخارجه بعد حضور يوسف خاصة أن بيني وبين آدم عمل»

نظرت إليه نور في صمت فتمتم مضيفًا:

- لو أن النظرات تقتل لوقعتُ صريعًا الآن،حسنًا آنستي لِمَ لا نعقد اتفاقًا فيما بيننا»

ضاقت عينا نور بريبة فأكمل يقول:

- هُدنة،نعلن الهُدنة وتتقبلي وجودي في نفس محيطك من وقت إلى الآخر،ومن يعلم قد نصبح أصدقاء»

قالت نور في عناد: « لن يكون أبدًا»

تحداها آسر قائلاً:

- ومن يعلم ؟ جربي أنتِ فقط ودعي الأيام تحدد موقف كل منا.

ضاقت عيناها: «وكأنك تتحداني لتثبت العكس»

هزَّ كتفيه:

- ولِمَ لا،اعتبريها لعبة،في النهاية سنرى من الفائز،ومن الخاسر»

- حسنًا،موافقة.

●●●

obeikandl.com

(٤)

- لوليتا الصغيرة،لا غير معقول.

هذا ما قالته نيرة في دهشة وعدم تصديق ثم أكملت تقول:

- فعلاً غير معقول نور؛ لم أتصور مطلقًا أنكِ قد تصبحين كاتبة في يومًا من الأيام، وأن تكوني أنتِ مؤلفة سلسلة لوليتا الصغيرة المثيرة التي حققت نسبة مبيعات هائلة، والتي يقرؤها الكبار قبل الصغار ايضاً!!، أيضًا هذا تحول هائل.

وأضافت وهي تمعن النظر في نور بتفكير علَّها تسبر أغوارها:

- من عازفة الكمان الطموحة إلى كاتبة لا،لا نور لا أستطيع تصور هذا ما لم تشرحي لي ما الذي غيَّر مجرى الأحداث هكذا؟ أين طموحك في أن تصبحي عازفة كمان مشهورة،تغير كل هذا هكذا بكل سهولة،فرقَع الجِنِّي بأصابعه بلمح البصر وتتغير قناعتك،لا أنا لا أصدق،انتظري هنا .

تمهلت قليلاً قبل أن تكمل:

- آخر مرة رأيتكِ فيها هي عند سفرك إلى فرنسا لاستكمال دراستك في العزف على الكمان مما لا يدع مجال للشك في ماهية أولوياتك وقتها.

كانت نيرة تتكلم بينما نور تزرع الغرفة ذهابًا وإيابًا، وعندما تفاقم التوتر داخلها مع استمرار ضغط نيرة عليها توقفت ورفعت رأسها تحدق إلى نيرة بنظرة تعكس كل ما يعتمل داخلها من مشاعر الحزن والبؤس آه،لو تعلم نيرة ما الذي تحاول الوصول إليه لما تفوهت بكلمة أنها صديقتها التي تعرفها ككف يدها، وتعلم ما كان يعتمل في نفسها في هذا الوقت،لكنها تواصل الضغط عليها منذ أن وصلت هي وزوجها كلما انفردتا مع بعضهما البعض غرابة وضع نور وإقامتها في هذا الشاليه الصغير وبدون أن تشعر تتحدث عن دراستها وتلك الأحلام الضائعة والتي سقطت من السماء لتحترق وتصبح رماد،صرخت في محاولة أخيرة لتسكتها:

- كفى يا نيرة، كفى، ماذا تريدين مني؟ منذ أن حللت ها هنا وأنتِ تحاولين الضغط عليَّ وبكل قسوة لمعرفة الكثير،بإصرارك هذا تذري الملح على جراحي المفتوحة. انطفأت عيناها في ألم تعكس ثورتها الداخلية التي أوشكت على الانفجار وأكملت:

- ينتابكِ الفضول لمعرفة كل شيء،كل شيء يا نيرة؟ حسنًا سوف أخبركِ ولكن عديني أولاً أن لا يعلم أحد بما ستعرفينه، سأتكلم ثم نغلق هذا الموضوع تمامًا ولا نتطرق إليه مرة أخرى،أفهمتِ؟

استمرت في النظر بقسوة إلى نيرة،ثم سألتها بقوة وتصميم:

- تعديني؟ ردي.

ردت نيرة مرتجفة من وقع الموقف وما آل إليه:

- أعدكِ.

- حسنًا،تعالي لنجلس فالحديث طويل وأنا لا أضمن ردود فعلك عندما تستمعين لقصتي.

أومأت نيرة برأسها دون أن تحيد عيناها عن نور وجلست بجانبها تستمع بتركيز،وفيما بعد سيطر الصمت على الأجواء،نور وقد أحاطت بها الذكريات المؤلمة من كل حدب وصوب مختنقة بعبراتها ودموعها الحبيسة بين مقلتيها،والتي ترفض مغادرة جفنيها ونيرة المتجمدة مكانها مرتاعة ومتألمة من هول ما سمعت تحرك رأسها يمينًا ويسارًا غير مصدقة،هل تخدعها أذناها،كابوس مرعب،حتى الحوادث التي تقرأ عنها في الصحف وتعلن عنها وسائل الإعلان لم تؤثر بها كل هذا التأثير،لا،ربما من هول الخبر،شعرت بقلبها يخرج من مكانه.

هل عانت نور كل هذا؟ ماذا لو لم،لا لا لا يجب أن تفكر في هذا،المهم الآن أن نور ها هنا معها دون أن يصيبها أي مكروه.

لقد عزلت نفسها في هذا المكان وهي في ركن آخر من الكرة الأرضية تعيش بسعادة مع رجل حياتها لم تشعر بنفسها إلا وهي تحتضن نور بشدة وهي تبكي:

- لا أجد كلام يصف أو يعبر عمَّا بداخلي من شعور.

وأضافت وقد أحست بغصة مؤلمة توجع حلقها:

- الآن فهمت كل شيء،عَمَلِك،وعُزلَتِك،هذا ما جعلكِ تغلقين على نفسك هنا.

حركت نور رأسها المتعب بالإيجاب وهي تحاول طرد ألم الذكرى السيئة وقالت بصوت منخفض أنهكه الوجع:

- نعم،أنا فضلت الانعزال هنا عن العالم وشروره، وجدت راحتي مع القلم أنتِ تعلمين مدى حبي للأطفال،أستمتع كل الاستمتاع وأنا أروي تلك القصص.

أمسكت نيرة يد نور وضغطت عليها تقول بانفعال:

- صباح اليوم دار حوار بيني وبين أم عمر وتكلمنا عنك ووصفت لي أم عمر مقدار التغير الذي لحق بكِ،لم أصدقها،لم أجد معنى لكلامها ولكني وجدته الآن أضافت بعد حين:

- أعلم جيدًا أن القول ليس سهلاً في ظل كل ما مررت به. وأضافت تقرر واقعًا وهي تواجه نور وتشد أكثر على كتفيها:

- لقد استسلمتِ،أليس كذلك؟ استسلمت،أنا أعلم أنها تجربة رهيبة ولكن الاستسلام ضعف يا نور، وأشك أن يتكرر ما حدث معكِ مرة أخرى،لقد حدث وانتهى وأنتِ بيننا الآن سالمة،وهذا هو المهم .

ابتعدت نور عنها بعض الشيء وهي تزن كلام نيرة في عقلها ثم تمتمت:

- أنتِ لم تعيشي ما عشته، ما مررت به أشد وقعًا وألمًا على النفس.

ابتسمت بمرارة وهي تتذكر تلك الأحداث الدرامية:

- هل تعلمين أن وليد وأمي لا يعلمان إلى الآن التفاصيل التي أخبرتكِ إياها الآن،لقد احتفظت بها لنفسي حتى لا يتألما فأمي قد تصاب بذبحة قلبية،ولولا قلق وليد وسفره ومحاولته المستميتة في العثور عليَّ لكنتُ الآن فانية،أخفيت أحداث وَقْعُها شديد الوطأة عنهما .

أشارت بيدها حولها وقالت وهي تتنهد بحرقة:

- أصبحت أخاف يا نيرة،أخاف من كل شيء زيارتي للطبيب النفسي لم تحدث فرق؛ احساسي كما هو ولا أستطيع التحكم به،لم أندم يومًا على السنة التي أمضيتها هنا لقد نعمت بالراحة والهدوء والأمان،رفيقي الكمان،أبثه مشاعري وأحاسيسي،يفهمني وأفهمه وهذا يكفيني .

وأضافت في قسوة: - حتى أتى ضيف أخيكِ المخبول وبدأ يضايقني بشتى السبل وبكل وقاحة.

ارتفع حاجب نيرة بتساؤل ثم ابتسمت بنعومة وقد ظهرت لها بارقة أمل،قد يفعل آسر ما عجز عنه الآخرون فقالت:

- آسر مخبول! حبيبتي نور لو لم أغرم بآدم لكنت صريعة هوى هذا المخبول،آسر الطيب تتمناه أي امرأة تملك في رأسها عقل.

أقرت نور في داخلها بحقيقة كلام صديقتها وصدقه؛ فرغم نفورها من آسر إلا إنه يتملكها تجاهه شعور مبهم،إحساس غريب لم تعهد مثله من قبل فهو قادر على إشعال فتيل غضبها بسهولة ولا تعلم لِمَ تثيرها تصرفاته وتجعلها أكثر حيوية.

وبالرغم من ذلك أرادت نفي كل هذا بعناد فقالت لنيرة:

- لا لم أظلمه فهو عديم الفهم والإحساس أيضًا.

ترددت ثم أكملت:

– بصراحة وجوده يثير أعصابي،في البداية ارتعبت واقشعر بدني عندما ظهر أمامي وبعدما علمت طبيعة علاقته بكم ارتحت واطمأنَّ بالي بعض الشيء .

هزت رأسها وأضافت بصوت مرتجف:

- ولكن في بعض اللحظات يصيبني الرعب لا إراديًّا ويصعب عليَّ التحكم في ذاتي،فهو يلازمني على الدوام،من الأفضل لي وله أن يبتعد فأنا لا أثق بالرجال وغير مستعدة لمنح ثقتي مطلقًا لأي رجل.

قالت نيرة: – ما تحتاجين إليه هو الخروج من تلك القوقعة التي اخترتِ بإرادتك التقوقع داخلها وأن تعطي لنفسك فرصة للبدء من جديد،وتذكري أن الحياة ذات ألوان متعددة والرجال كتلك الألوان مختلفون،أصابع اليد ليست متماثلة يا نور.

تبسمت نيرة وهي تكمل ويدها سارحة تحاول التعبير عن ما تقوله:

- قد تجدي لون قوي زاهي وآخر باهت،اعتبري آسر النوع الأول قوي ومختلف يستحق أن نخوض التجربة من أجله، وتذكري أيضًا أن بعدما تمطر السماء يأتي قوس قزح ليرسم في الأفق أطيافه المتعددة،نور التي أعرفها لا يمكن أن تنحني أمام أي عاصفة قد تباغتها،حياتكِ أمامكِ وماضيكِ خلفكِ وبينهم بوابة عليكِ الاختيار هل تتركينها مفتوحة أم تجري عليها لتوصديها ثم ترمي مفتاحها في بئر عميق لا قاع له»

تعجبت نور من كلام صديقتها وشعرت بسحره وجماله ولاحظت أن حبها لآدم غيرها فعلاً فحركت رأسها إلى نيرة متفهمة ثم تمتمت بذهول:

- تغيرتِ كثيرًا يا نيرة أتذكر عندما فسختِ خطبتكِ من أحمد لم تتقبلي أي مواساة من أحد منَّا، وهربتِ لفترة خلف باب غرفتك ترفضين مجرد الحديث حتى فاجأني قرارك بالسفر للمغرب للإقامة في كنف خالتك، ثم العمل في جاليري يملكه صديق أمجد لم أتوقع أن تقعي في حبه والزواج به بعد ذلك بفترة قصيرة.

ابتسمت نيرة وقد التمعت عيناها بسعادة وتذكرت لقاءها الأول والعاصف بآدم عندما شكك في قدرتها على إدارة الجاليري

وتصميمها حينذاك على أن تثبت له أنها تستطيع أن تديره بمهارة،تطلعت في وجه نور وقالت:

- قررت حينها رمي الماضي خلفي والبدء من جديد، واكتشفت أني لم أحب أحمد يومًا ولكنِّي أحببت الحب ذاته وقلت أنَّ في البحر أسماك كثيرة ومختلفة منها ما هو نافع وآخر سام وأحمد كان من النوع السام «ثم ضحكت بنعومة وأضافت:

- كما أنه عديم الطعم.

انعكست مشاعر نيرة فوق سطح وجهها عندما قالت:

– أنا وآدم اختلفنا في البداية ولكني أثبت له مهارتي وحرفيتي في التعامل مع الفنانين وتطورت الأمور فيما بيننا ما بين صعود وهبوط،آدم رجل أعمال قوي متمكن، مجالات عمله متعددة يبحث عن الشركات المنحلّة ويعيد بناءها ثم يبيعها من جديد ومن شدة حبه للفن أنشأ الجاليري،الذي كان سبب لقائنا، صدقيني لن تعلمي أبدًا ما تخبئه الأيام،وترسمه الأقدار،فلا تعاندي واتركي الأيام تقرر عنكِ،دعي موج البحر يحملك إلى شاطئ قدرك،حتى لا تندمي على سنوات عمرك واستسلامك للخوف والذعر عليكِ بالمقاومة،والمقاومة»

تبسمت نور وقالت: – سأحاول لا تقلقي أنتِ.

فركت نيرة يدها لا تصدق أذنيها وقالت في حماس:

- لن تندمي أبدًا،أبدًا .

ثم تطلعت في ساعتها وأكملت:

- تأخر الوقت،يجب أن أذهب وإلا غضب آدم»

سألتها نور: - ألم تخبريه أنكِ هنا؟

ردت نيرة : - لا لم أخبره،تركته مع آسر يتحدثان ونويت النوم ولكنكِ شغلتِ تفكيري خاصة بعد حديثي مع أم عمر فتسللت إليكِ دون علمه.

نهضت واتجهت إلى الباب تتبعها نور،

- إلى الغد اجهزي صباحًا سنقضي النهار على الشاطئ» ثم غمزت بعينيها لنور وأضافت:

- ثقي بي.

طبعت قبلة حارة على خد نور وانصرفت،عصى النوم عيون نور،فاستسلمت ونهضت كالعادة عندما يجافيها النوم،تعانق رفيقها بحنان وشوق وبدأت العزف وهي تتحرك مع أنغامها الساحرة التي تدفقت كماء النبع الصافي عذوبة وجمال،عَالَم ساكنيه يرقصون

على سحر النغمات،في ذلك الوقت كان آسر يحتل شُرفة غرفته يستمع إليها وقد كان على يقين من أن العرض سيقام لا محالة، وكأن ساحرة ألقت عليه تعويذة فأدمن الاستماع.

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

(٥)

تمتعت نور بقضاء يومها مع نيرة وآدم على الشاطئ بالرغم من وجود آسر ونظراته المحدقة بها على الدوام؛ فكل التفاتة منها إليه تقابلها نظراته المتفحصة دون حياء،مما سبب لها المزيد من الإحراج لا فهي لا تريد أن تلاحظ صديقتها وزوجها وقاحة تصرفه هذا، وودت لو تذهب إليه وتضربه على رأسه ليفيق من الحُمَّى التي أصابته، حدجته بنظرة قاتلة وقررت أن تتصرف كما لو أنه غير موجود، وفعلا مع مرور الوقت تناست وجوده فسبحت مع نيرة ولعبت معها بالكرة كما كانتا تفعلان في صغرهن، وتذكرتا أحداث طفولتهن وبعض مواقفهن المضحكة واتفاقاتهن على العديد من المقالب التي قامت بتنفيذها نور بتحريض من نيرة مع رفقاء الطفولة،فيما كانت نظرات كلا الرجلين معلقة بهذا المشهد،التفت آدم إلى آسر فلاحظ نظراته الهائمة بنور وعينيه اللتين لم ترمشا لحظة بعيدًا عنها؛ فقال بخبث ليشتت انتباهه عن الفاتنة الحسناء:

- تعجبك،أليس كذلك؟

أجفل آسر ليفيق من شروده على صوت آدم وتفاجأ بالسؤال فلم يفكر بالمراوغة في الإجابة فرد وهو يلتفت مرة أخرى ينظر صوب نور بشغف:

- نعم تعجبني وأكثر مما تتوقع.

أعجب آدم بصراحة آسر فلم يتوقع منه إلا المراوغة لذا أراد أن يضع النقاط فوق الحروف. مقابلته الأولى لنور جعلته يعلم جيداً ما تمثله لزوجته فقبل أن تكون صديقة طفولتها، هي تعتبرها شقيقتها فقال:

- تكنُّ لها الإعجاب،جميل جدًّا ولكني أتساءل ماذا بعد؟

قرأ آسر ما يرمي إليه آدم: - أتلمِّحُ لشيء؟

رد آدم بكل صراحة ووضوح:

- بالتأكيد يا رجل،لن أسمح لأحد بالتلاعب مع من يهمني أمره،الفتاة كالصفحة البيضاء التي لم يخطها قلما بعد،فإن كنت تنوي قضاء بضعة أيام من المتعة برفقتها ثم تتركها محطمة فأنصحك بالتفكير ألف مرة قبل الإقدام على أي تصرف متهور. التوى فم آسر بشبه ابتسامة فلنور حلفاء يحيطون بها ويدافعون عنها باستماتة فقال بثقة:

- لا تخف أنا لا أنوي التلاعب أبدًا بمشاعرها نيتي شريفة،أعلم ومن أول مرة وقعت عيني عليها إنها مختلفة كل الاختلاف عن أي امرأة أخرى صادفتها في حياتي.

شعر آدم بالراحة لحديث آسر وقرأ صدق مشاعره تجاه نور وتمنَّى أن ينعما بالسعادة كالتي عرفها مع نيرة.

فقال: «حسنًا أتمنى لك التوفيق في مساعيك» ثم نهض وهو يضيف: «ما رأيك أن ننضم إليهم قليلاً»

لحق به آسر: «حسنًا هيا بنا»

انضم الرجلان إلى الجميلتين وقال آدم لنيرة:

- مرري الكرة جميلتي .

تقاذفوا الكرة هم الأربعة وتناست نور عداوتها لآسر لبعض الوقت وهي تلهو باستمتاع،حتى أنها تصادمت معه في الماء فما كان منه إلا أن أمسك بكتفيها يثبتها حتى لا تقع؛ فشعرت برجفة تهزّ أعماقها عندما لمست يده بشرتها،وتشابكت نظراتهم في حوار صامت تساءل فيه كل منهما عن ماهية هذه الأحاسيس المتدفقة، وكيف تقشعر الأبدان هكذا من مجرد لمسة فلم يسبق لنور أن انتابها شعورٌ مماثل،كانت هي أول من أشاح نظره وألف سؤال

يـدور برأسـها،أدارت رأسـها مرتبكـة تنـادي نيـرة وهـي تبتعـد عنـه قائلـة:

- نيرة أنا سوف أعود إلى الشاطئ فقد تعبت .

أومـأت نيـرة برأسـها موافقـة وهـي تتسـلق بمـرح ظهـر آدم لتوقعـه في المـاء.

تمـددت علـى الرمـال فـوق منشـفتها وأغمضـت عينيهـا تحـاول تجاهـل آسـر الـذي تبعهـا وجلس بجوارها،شـعرت بـه يتأملهـا فتوتـرت وحاولـت التظاهـر بالبـرود واللامبـالاة حتـى شـعرت بتدفـق الرمـال السـاخنة علـى فخذهـا فانتفضـت جالسـة وصرخـت فيـه وقالـت:

- ماذا تظن أنك فاعل بحق الله؟

تأملهـا لدقائـق باسـتمتاع لرؤيـة عينيهـا وهـي تطلـق شـرار الغضـب ثـم رد:

- أحاول لفت انتباهك.

فغرت نور فمها وقالت: - ماذا ؟

اعتدل آسر في جلسته،قال وعيناه ثابتتان عليها:

- تعجبني لعبة القط والفأر التي يتبعها كل منا»

ردت عليه بسخرية تقلد طريقته في الكلام وطريقة جلوسه:

– لقد تركت اللعب للصغار،لا أعلم لِمَ تهذي بمثل هذا الكلام الذي بلا أي معنى،لِمَ لا تعود إلى الشاليه،حرارة الشمس قوية على رأسك وقد فعلت فعلتها بك.

ارتعد جسد آسر من الضحك فهو لم يتصورها خفيفة الدم هكذا فقد أدلت بتعليقها عنه بتعبير ضاحك فاجأه حتى أن نور لم تتوقع ردة فعله هذه ففغرت فمها انبهارًا،تحركت شفتاها رغمًا عنها لتفتر عن ابتسامة ما لبثت أن تحولت إلى قهقهة ذات صوت رنان جميل، تجمَّد آسر مكانه بذهول وهو يتأمل الوجه الملائكي الضاحك ثم تمتم بخفوت:

- يا إلهي،كم أنتِ جميلة،بل ساحرة باهرة الجمال.

فاجأ نور تعليقه فخمدت ضحكتها وتحولت لابتسامة خجولة مرتبكة بعض الشيء،ضربت بقراراتها عرض الحائط تشعر بسحره الذي له سلطة عجيبة عليها؛ فحاولت النهوض من مكانها وقد اكتشفت ما يعتمل داخلها من تناقض وتلعثمت تحاول الكلام:

- ،أن،أنا،س،ا.

أمسك ذراعها يعيدها لتجلس فرضخت له بعد تردد،ضغط بأصابعه على شفتيها حتى لا تتكلم حتى شعر بارتجافهم تحت يده، تمتم:

- لا تتكلمي، بل استمعي فقط.

تململت نور وأبعدت يده تقول في محاولة لتصنع الهدوء:

- ماذا تريد أن تقول؟

- أقترح معاهدة سلام.

حملقت به:- معاهدة سلام!

- نعم معاهدة سلام وعلى فكرة عندما تنزعين القناع يصبح لكِ أحلى طلة.

ضحكت نور بتلقائية ولكنها تجمدت حين التقطت نظراته الثابتة على شفتيها فخبت ضحكتها وهيمن جو من التوتر بينهما وأخذت نظراته تتنقل ما بين شفتيها وعيناها محاولاً تخفيف التوتر الذي سيطر على الأجواء وقال:

- هل قال لكِ أحد يومًا أن لكِ أجمل عيون.

ردت بصوت أجش غريب عنه:

- لا أحتمل سماع كلام الأفلام هذا يا آسر فلا تبدأ من فضلك.

- أبدًا واللّه،صدقيني أنتِ تملكين أجمل وأغرب عيون ساحرة رأيتها في حياتي.ابتسمت في خجل، هدأ الجو بينهم وشعر بتجاوبها معه وبينما يسمع معدتها وهي تقرقر قال:

- جائعة؟

أومأت برأسها قائلة:

- جدًّا معدتي فضحتني وشَكَت بأعلى صوت.

- حسنًا فلننادي العاشقين ليشاركونا الوجبة.

فتحت نور سلة الطعام تخرج ما فيها إلى أن يأتي الباقون وهي واعية للجسد الرشيق الذي أسرع نحو المياه ينادي على نيرة وآدم.

وفيما بعد،علقت نيرة وهي تمدد أطرافها بخمول:

- لقد امتلأت معدتي وأعجز عن الحركة أو الإتيان بأي حركة» وملَّست بيدها على بطنها بحنان أُم مشتاقة إلى طفلها تضيف: «طفلي الحبيب شَرِه جدًّا للطعام أخاف أن أصبح منتفخة بحجم البرميل عندما أصل إلى الشهر الأخير.

ابتسم آدم وداعب شعرها بحنان:

- أنتِ في أي صورة جميلة حبيبتي وأظن أن تقدم الحمل سوف يضيف إلى جمالك بهاءً.

تنحنح آسر مازحًا: «نحن هنا أيها العاشق»

ثم التفت نحو نور الجالسة باسترخاء ثم نهض وهو يقول:

- من الواضح آنستي أننا أصبحنا متطفلين على هذين العاشقين.

مدَّ يده إليها وأكمل:

- فما رأيك أن نتمشى قليلاً ونتركهم في خلوة.

تطلعت إليه نور تحدق بيده الممدودة ثم التفتت إلى نيرة تتوسل إليها لتنقذها منه فأومأت إليها الأخيرة وأشارت بأن تنهض وترافقه كأنها تقول لها «ألم أقل لكِ سابقًا»

فتشجعت نور رغم شدة أعصابها وتفكيرها بالوقت الذي ستمضيه برفقته وضعت يدها بيده ونهضت،احتفظ آسر بيدها في يده وهم يمشون بعرض الشاطئ،وبالرغم من محاولتها للتملص منه : - حدثيني عن نفسك.

التفتت إليه نور وقالت بعناد:

- لا يوجد ما يقال حتى أتحدث عنه واترك يدي من فضلك.

ترك يدها حتى لا يضايقها وتهرب:

-بل يوجد الكثير ليقال.

توقف والتفت إليها:

- دعيني أبدأ،أنا آسر الطيب، مهندس أمتلك عملي الخاص بالمشاركة مع يوسف،أبلغ من العمر أربعة وثلاثين عامًا، أعزب، وحيد أمي وأبى،أعيش في القاهرة وأمتلك شقة في حي المعادي» مدَّ يده إليها مصافحًا بمرح وهو يضيف:

- سعيد بالتعرف عليكِ.

وحسها على الإتيان بالمثل،مما جعلها تضحك فقالت بتسامح:

- حسنا،أنا نور كامل،من ساكني محافظة القاهرة، أقيم حاليًا في الشاليه الصغير المجاور،أبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عامًا،لي أخ واحد وهو وليد تعيش أمي معه،أبي توفاه الله وأنا صغيرة،صديقتي الوحيدة هي نيرة،أعمل ككاتبة،هاك،هل اكتفيت؟

غمز لها بعينه وقال:

- حاليًا نعم، إنها البداية فقط» توقف قبل أن يكمل جملته؛ فقد انتبه لجزء من كلامها أراد أن يستفسر عنه فضاقت عيناه:
- ماذا تكتبين؟

- قصص أطفال مسلسلة.

- عناوين أعمالك ؟؟

- لوليتا الصغيرة،إن كنت لم تسمع بها هذا لأن الذي نُشِرَ عملان فقط.

تأملها آسر متابعًا حركة شفتيها وهي تتكلم فشعر أن صوتها يأتي من بعيد تغريه نفسه كي يلمسها ويتحسس نعومتها، كور أصابع يده وشدَّ عليها في قبضة قوية حتى لا تأخذ طريقها إلى شفتيها الندية فتفزع منه، أدار عينه عنها بصعوبة ينظر إلى موج البحر وهو يتكسر على الشاطئ، وتخيل قلبه كما الموج يلاحقها ويخاف أن تفلت منه، تنهد ثم أدار ظهره وهو يقول:

- هيا لنَعُدْ.

مشت معه نور وهي تنحني من وقت لآخر؛ لتلتقط الأصداف التي قذفت بها الأمواج على الرمال،تكلم آسر معها عن طبيعة عمله وتطلعاته للمستقبل لتنمية مشاريعه، استمعت إليه بتركيز تقرأ في صوته حماسه وحبه لعمله:

- بدأت مجهوداتي تثمر وها نحن نغزوا الدول العربية وقريبًا فرنسا.

تجمدت يد نور وهي تتناول صدفة أخرى من على الرمال عند ذكر فرنسا مما لفت انتباه آسر الذي لاحظ شحوب وجهها

الشديد وهي تستقيم ببطء لتقف بارتباك وقد أفلتت الصدفة من بين أصابعها فقال بقلق:

- ما بكِ يا نور لقد شحب وجهك؟

- استدركت نور الأمر وحاولت التغلب على شعور الغثيان الذي تملكها وقالت وهي ترتجف داخليًّا:

- لا أبدًا، حرارة الشمس قوية بعض الشيء، لنَعُدْ أرجوك لكي أعتذر من نيرة وأدم وأرجع الشاليه لأنام قليلاً فقد كان يوم محموم،واستمتعت به كثيرًا.

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

(٦)

مضى أسبوع آخر ومرت أحداث لم تتصور نور أنها سوف تعيشها؛ فقد انعكس تغير روتين حياتها عليها مما جعلها أكثر سعادة وحيوية،سكنت أشباحها في أعماق قبوٍ مظلم.

بل وتعودت على وجود آسر،أصبحت تنتظر لقاءه بفارغ الصبر، بمجرد أن تلمحه قادم يرتجف قلبها فرحًا، تفقد صوابها برقته في تعامله معها حتى شخصيته المرحة أصابتها بالعدوى.

صحيح أنه لم يتجاوز حدوده معها بعد حادث البلدة واحترم رغباتها في عدم التطرق للحديث عن سبب إقامتها منفردة هنا وغرابة ذلك في ظل مجتمعنا الشرقي؛ وذلك ليثبت لها حسن نيته رغم فضوله إلا إنها كانت من أعماقها تتمنَّى أن تكون أكثر أريحية معه،استمتعت بالخروج معه في صحبة نيرة وآدم وانضمام يوسف إليهم وقد اصطحب معه فاتنة حمراء الشعر أحبتها نور من أول لقاء،كأن العضو الخشن بينهم اتفق على فتح بابه للحب فحتى يوسف يبدو وكأنه وقع صريع هوى تلك الفاتنة فهو لا يكاد يرفع عينه عنها أبدًا،انضم لهم في نزهاتهم بغض النظر عن خلوتهم في

بعض الأحيان،استمتعوا بالسباحة، وقاموا برحلة ممتعة على ظهر يخت أمجد وتذكرت نور عند قيام الرجال بالتنافس على صيد السمك في جو من المرح والتعليقات المضحكة.

اتسعت ابتسامة نور وهى تتذكر آدم عندما غمزت صنارته وصياحه الصاخب وهو يسحبها، ليكشف صيده الثمين عن سمكة صغيرة مسكينة مما جعلهم يهدرون ضاحكين من رؤية الخيبة التي ارتسمت على وجهه.

أسبوع من المتعة والترقب،حتى أن نور نسيت كتابها والعمل عليه حتى كمانها الحبيب أصبحت نغماته تحمل شيء من سعادتها، والغريب أنها عندما تلامس رأسها الوسادة تغط في نوم عميق، رحلت عنه ساعات الأرق، إحساس مختلف تَملَّك حواسها وكأن الحب وجد طريقه إليها!

نعم الحب إنه هو،هذا هو التفسير الوحيد مجرد رؤيته تفعل بها الأفاعيل،يَطْرُق قلبها جوانب صدرها،يقشعر بدنها فى ظل حضوره، تستشعر تلك الكيمياء التي تتفاعل بينهما وتذكرت الليلة الفائتة على العشاء لم يرفع عينه عنها، وعندما تشابكت النظرات أخبرتها عيناه بكل ما يعتمل في نفسه،كانا غافلين عن من تركوا طعامهم وتابعوا شريط الفيلم الصامت الذي يدور أمامهم والمتمثل

في نور وآسر وابتسامتهم التي اتسعت وتحولت إلى ضحك هادر مما فرق عيون العاشقين في إجفال،يدركان ما أثاراه في عرض هذا المشهد وسرعان ما انضما إليهم في الضحك.

بعد العشاء أوصل آسر نور إلى الشاليه وطلب منها أن تصحبه إلى العشاء في اليوم التالي وافقت بلا تردد وها هي تقف محتارة أمام خزانة ملابسها،أي فستان تختار،وأخيرًا وقع اختيارها على ثوب لم تسنح لها الفرصة لارتدائه من قبل،فستان حريري أزرق،انساب على جسدها بنعومة،زادها جمالاً كما صففت شعرها ورفعته من جانب واحد بمشبك على شكل نجمة، كما اكتفت بماكياج خفيف فلونت شفتيها بلون وردي لامع، وظللت عينيها بلمحة من اللون الوردي مع درجة أغمق من اللون الأزرق مع الفضي ووقفت تتأمل نفسها في المرآة لبعض الوقت حتى أفاقت على رنين جرس الباب فقرعت طبول الترقب بين جوانب صدرها،وتسارعت أنفاسها ترقبًا لما سيأتي وتخلفه هذه السهرة.

فتحت له الباب،وقد خطف أنفاسها برجولته المدمرة في بذلته الرسمية ورباط عنقه أحاديّ اللون.

مدَّ يده لها بباقة من الورود البيضاء الرائعة في حركة مسرحية،وهو يدمدم:

- الورد الأبيض لأجمل ملاك لم ترَ عيني مثله.

ثم انحنى كجنتلمان قادم من حقبة الستينيات،ابتسمت نور في خجل فيما توردت وجنتاها وهي تتمتم:

- شكرا لك، تفضل حتى أضع الورود في المزهرية.

تبعها آسر إلى الداخل،عيناه لا تفارقها حتى اختفت خلف باب المطبخ ثم تنهد بحسرة وأدار عينيه يتطلع حوله، المكان الذي لم تطأه قدماه من قبل، تخطَّى غرفة المعيشة وحملته قدماه حتى رف الكمان،وقف يتأمله فيما هو يهمس:

- مرحبًا يا صاحب الألحان الشجية.

مرر أصابعه فوق خشبه اللمَّاع متلمسًا إياه في رقة،ثم أدار وجهه يدرس الغرفة بمحتوياتها فطالعه رف الصور ،في إحداها نور تبدو في سن المراهقة وبجوارها شاب وسيم ،التفت ذراعه حول كتفها، ونيرة ويوسف في الجانب الآخر من الصورة، يبتسمون بسعادة كانت نور تلكز رفيقها في كتفه وكم كان وجهها مشرقًا،وتنقل آسر من صورة إلى أخرى حتى أتت نور ووقفت خلفه تقول:

- لقد انتهيت،هل نذهب؟

- التفت إليها تلتهمها عيناه من رأسها إلى أخمص قدميها وقال:

-إن ظللت دقيقة أخرى هنا فلن أكون مسئول عن أفعالي،فجمالك اليوم يصعب مقاومته،من الأفضل أن ننطلق في طريقنا .

تملكها المزيد من الخجل فسارعت تقول بارتباك:

- حسنًا هيا بنا .

أمسك مرفقها بعد أن أغلقت الباب خلفها ولم تَفُتْه ملاحظة حرصها الشديد على إضاءة جميع أنوار الشاليه حتى أنها أضاءت أضواء الحديقة أيضًا .

فلم يعلق حتى لا يبدد جو الانسجام بينهم.

وجدت نور نفسها في أفخم مطاعم الساحل، اصطحبها إلى طاولة في ركن منعزل ثم سحب لها الكرسي، وجلست تتأمل محيطها فلاحظت فخامته بدءًا من السارية الضخمة المتدلية من السقف إلى اللوحات المعلقة على الحائط، أدارت عينيها عن هذا كله فوجدت آسر يتأملها مبتسمًا حتى قالت له بتساؤل:

- ماذا!!،لِمَ تنظر إليَّ هكذا؟

اتسعت ابتسامته:

- أراكِ مهتمة بالمطعم وتناسيتِ وجودي تمامًا .

علقت بابتهاج قائلة: «اعذرني»

تلفتت حولها وأضافت: «المكان جميل جدًّا»

ولم تستطع منع نفسها من النظر إليه بشاعرية حاولت أن تخفيها، وقد أثر عليها جو الرومانسية الذي أحاط بهم وهو يجلس في مواجهتها بقامته الطويلة وهيئته الجذابة بداية بشعره الموج الذي يحيط بوجهه الوسيم إلى كتفيه العريضين تحت بذلته الرسمية،يمكنها أن تحدق فيه طوال الليل حتى آسر بدا مشغول للغاية بتلك الأحاسيس التي انعكست على صفحة وجهها فيما تحاول جاهده إخفائها،لم يسبق لها التجاوب مع رجل كما تجاوبت معه مما جعله الذي تطلع نحوها مبهورًا:

- حسنًا بعد أن استكشفتِ المكان، ماذا تشربين؟

- كوكتيل من فضلك.

أشار آسر إلى النادل الذي أسرع لتلبية الطلب بعد أن ترك لهم قائمة للعشاء:

- كيف يسير العمل على كتابك؟

تحمست نور لاهتمامه بعملها فقالت:

- للأسف متوقف مؤقتًا،ولكني رغم ذلك أكاد أنتهي منه،إن شرعت في العمل ينتهي في أسبوع على أكثر تقدير»

أولاها كامل انتباهه وأشار إليها بحركة من يده أن تكمل،

- شخصيتي لوليتا طفلة مغامرة مندفعة توقع نفسها في العديد من المشاكل يساعدها في تخطيها أشخاص تقابلهم في مغامرتها، وقد يكونوا مشاهير معروفين في الواقع،وهذا ما يجعل التأثير قويًّا على القارئ، وتنتهي القصة بتعلمها أهمية اكتساب الأخلاق الحميدة والاستماع إلى كلام الكبار وتوجيهاتهم وعدم التمسك بالعناد في المواقف الصعبة.

- وتلك الشخصيات ألا يعترضون في استخدام اسمهم ضمن الرواية؟

- لا،فهم يستمتعون بمشاركتهم البسيطة تلك في العمل،

علق آسر وقال: – غريب!

أثار ذلك انتباه نور فسألت: – وما هو الغريب؟

- أمرك!

- أمري! كيف هذا؟

- كاتبة تهوى العزف على الكمان وباحترافية أيضًا،شيء مثير فعلاً!

زمَّت شفتيها وقالت: وما أدراك أنت؟

- لقد كنت مستمعًا صامتًا لمقطوعاتك الموسيقية كل ليلة تقريبا!

تكلمت ببرود ملحوظ:

- تلك هواية أمارسها من حين إلى أخر ليس ألا.

- خسارة،العالم ذاخر بمؤلفي الكتب لكن العازفون الموهوبون قلائل وأنتِ موهوبة فعلاً وطريقتك في العزف مؤثرة تشد الأذن،

انزعجت نور لاتخاذ هذا المسار في الحديث فقالت بانفعال:

- من فضلك يا آسر لنغلق الموضوع،ثم مالك أنت بموهبتي الموسيقية من عدمها،قلت لك إنها مجرد هواية،فلا تتدخل فيما لا يعنيك.

حافظ آسر على برودة أعصابه وقال ببرود:

-أنتِ بالتأكيد تعنين لي الكثير يا نور، فلا تحاولي التشكيك في هذا الأمر،وحاولي قدر الإمكان التحكم في حدة انفعالاتك.

همت بأن ترد عليه ردًّا لاذعًا ولكنه أوقفها وفمها مفتوح بإشارة من يده وهو يقول:

- اهدئي أيتها القطة الشرسة،النادل يقترب فلنعلن الهدنة ونتناول العشاء.

- حسنًا موافقة،فلا أريد أن ينتهي بك الأمر بالمستشفى عندما أغرز شوكتي في خاصرتك فانتبه لكلامك حتى لا تلقى مصير سيء على يدي.

قهقه آسر رغمًا عنه دائمًا ما تفاجئه بتعليقاتها، حاول السيطرة على نفسه قبل أن يقول:

- ولِمَ كل هذا العنف،سأصمت أفضل حتى لا أتعرض للقتل إن تطور الوضع أكثر من هذا.

لم تتمالك نور نفسها فانفرجت شفتاها عن ابتسامة جميلة ومرت فترة العشاء بسلام وسط تعليقات آسر المرحة وضحكات نور وقهقهاتها التي وصلت إلى الطاولات المجاورة دون أن تشعر، وفي طريق العودة اقترح آسر على نور أن يتوقفا بالقرب من مرتفع يطل على الشاطئ ويجلسا فوقه لبعض الوقت فوافقت نور،شاهدت نور نجمًا يهوى فأشارت إليه وقالت لآسر:

- انظر هناك نجمًا يهوى تمنى أمنية،بسرعة آسر.

وأغمضت عينيها وهي تتمنى أمنيتها،ثم فتحتهما لتجد آسر يحملق بها مبتسمًا يقول:

- هل تؤمنين بهذا فعلاً؟

obeikandl.com

- بالطبع لا،ولكني ألهو قليلاً.

- حسنًا وما هي أمنيتك؟

هزّت كتفيها وهي تبتسم: – لن أخبرك،إنه سر.

- لن أجادلك،ولكني على استعداد لمشاركتك أمنيتي.

- ألا تلاحظ أنك تأخذ الموضوع بجدية، الأماني لعبة طالما لعبناها ونحن صغار.

ونظرت إلى ساعتها وقالت:

– تأخر الوقت فلنذهب من فضلك.

●●●

obeikandl.com

(٧)

تعود كل من آسر ونور على التريض صباحًا على الشاطئ وتبادل الأحاديث في كل شيء وعن كل شيء ثم العودة،لتشرع في العمل على روايتها،لم يخلُ وقتها من مهاتفة عائلتها والاطمئنان على جدتها التي حاولت إقناعها بالعودة؛ وذلك لعدم استطاعتها السفر حتى تعتني بها،دون جدوى وكان عزاء العائلة الوحيد هو ملاحظة انفتاح نور أثناء الحديث معهم وكأنها عادت لسابق عهدها مرة أخرى، وهُيِّئ لهم أن السبب ينحصر في عودة نيرة ووجودها بالقرب من نور فطالما كانت نيرة البلسم الشافي لجروح نور.

وآسر أيضًا بعد أن يقوم بإيصالها يعود إلى الشاليه لتناول الفطور، وبعد ذلك يجلس مع يوسف للتحدث عن مستجدات العمل، وفي المساء يجتمع الكل للعشاء أو الخروج لتناوله خارجًا أدرك آسر السرعة التي تمر بها الأيام حتى شعر بالقلق مع مرور كل يوم بما أنه مجبر على العودة قريبًا إلى حياته الروتينية؛ فهو بعيد عن الشركة لأكثر من شهر،ويعلم كما يصعب عليه فراق نور،بل وينتابه شعور مقلق بخصوصها فهو لم يتأكد من ماهية

مشاعرها تجاهه ويخاف أن يصارحها بما يعتمل في نفسه نحوها فتهرب منه؛ فقرر أن يعود إلى القاهرة ويأخذ كل منهما وقت بعيد عن الآخر ليتيح لها فرصة لاتخاذ قرارها،نعم سوف يذهب إليها ويودعها على أمل اللقاء القريب.

استيقظت نور تمط جسدها وهي تبتسم سعيدة بما تعيشه الآن،فتتملكها رعشة لذيذة رفعتها لعنان السماء هبت من فراشها لتدور وترقص بمرح في أرجاء الغرفة،

معقول! إنها لم تكن تعلم بوجود آسر في هذه الدنيا قبل شهر واحد وها هي الآن لا تتصور الحياة بدونه وكأنها تعرفه منذ قديم الأزل،توقفت عن الدوران والرقص وهبطت بجسدها تجلس على حافة السرير، وقد تجهم وجهها وأدركت أن دوام الحال من المحال، ولسوف يأتي يوم وينتهي فيه كل شيء،آسر يعود إلى حياته من جديد في ظل انقضاء الوقت الذي يقضيه برفقتها،

عندما يذهب سوف ينساها وتصبح مجرد ذكرى،فهي تعلم أن تلك الأيام ما كانت سوى أجازة صيف خطت نحو الشُرفة وفكرها سارح بعيد وقد أيقنت أن قلبها سيتحطم لامَحَال، ولن يكون آسر إلا مجرد عابر سبيل يمر في حياتها مرور الكرام، ولكنه سيخلف وراءه قلبًا محبًا لن يعلم عنه شيء أبدًا، ستحتفظ بمشاعرها لنفسها.

انطلق صوت صفير من أسفل الشرفة فتدلت رأسها لتنظر، آسر يضع أصبعيه في فمه

يصفر لها ويشير إليها لتنزل فأومأت برأسها وأسرعت لتستحم وتغير ملابسها بسرعة فائقة وتجري مهرولة للقائه، وبينما هي تخرج مسرعة إذا بها تصطدم به فأمسك بكتفيها حتى لا تقع ثم ضحك قائلاً:

– بدأت أصدق مقولة،احذر مما تحمله إليك الرياح .

ابتسمت نور: – إذن ما رأيك بما أتت به الرياح؟

- لقد أتت بأجمل ملاك رأته عيني أو حلمت به.

تجرأت نور ولكزته في كتفه وهي تضحك قائلة:

– لا تتصور أن كلامك الساحر هذا سيفتنني وأخرٌ صريعة هواك.

وضع آسر قبضته فوق صدره كأنه يشكو وجعًا به وقال:

- آه قلبي لن يتحمل تلك الضربة الموجعة،ما العمل الآن؟

ضحكت نور ثم قالت:

- يا لك من ماكر،لا أستطيع مغالبتك في الحديث مهما فعلت.

تصنعت الجدية وأضافت: - قل ما الذي أتى بك مبكرًا هكذا؟

- جئت أدعوكِ لتناول الإفطار معنا في الحديقة،لقد كانت نيرة واضحة في طلبها مني أن لا أعود إلا بكِ،وقد حذرتني من الفشل والعودة خائبًا،وبما أنه لا يمكنني الاستغناء عن عمري،أتوسل إليكِ أن تأتي معي»

ردت نور: - حسنًا،حسنًا لا تكمل أكثر حتى لا تفر الدموع من عيني،أكاد أجزم إن جلست بجوار مسجد وأعدتَ تمثيل هذا المشهد ستمتلئ جيوبك بالأموال

فغر آسر فمه فيما تمتم بذهول: - أجلس بجوار مسجد!

أدار ظهره لها وهم بالابتعاد وهو يقول بصوت بارد:

- أسحب الدعوة.

ارتاعت نور،لا يمكن أن يكون غضب،هي تمزح معه لا أكثر، توسلت إليه بصوت مختنق:

- آسر،أرجوك إنه مجرد مزاح ليس إلا،لا تغضب من فضلك .

لم يلتفت إليها بل ظل صوته على برودة وقد تخلله شيء من القسوة:

- اصمتي يا نور لا أريد أن أسمع صوتك.

هرولت خلفه وأمسكت بذراعه تشد عليه فيما اختنق صوتها بالعبرات:

- أرجوك يا آسر،أعتذر.

- سأسامحك في حالة واحدة.

- هزّت رأسها ثم قالت: - ما هي؟

- أن تجلسي معي بجوار المسجد وتتوسلي كما تفعلي الآن.

اتسعت حدقتاها فيما يدير رأسه نحوها ضاحكًا بقوة،فزمت شفتيها وهي تدمدم من بين أسنانها:

- أيها المخادع،كاد قلبي أن يتوقف،لن أتركك.

جرى مبتعدًا وهي تهرول خلفه تتوعده وقبل أن يتخطى بوابة الشاليه الكبير،حاول لَمّ شتات نفسه من فرط الضحك فيما يرتفع صدره ويهبط، توقف منحني يسند كفيه على ركبتيه وتوسل:

- أستسلم،لقد انتهيت.

توقفت أمامه تلهث هي الأخرى:

- لقد خدعتني،لن أرحمك.

ضحك مرة أخرى:

- افعل أي شيء ملاكي لترضي عني،لم أستطع منع نفسي، صدقيني.

هدأت بالفعل أنفاسها فيما انفرجت شفتاها عن ابتسامة شقية، تخطته ودلفت إلى الحديقة وهي تقول:

- حسنًا عليَّ الاعتراف،هكذا نحن متعادلان.

هزَّ رأسه مبتسمًا ثم لحق بها،

لم تعلم نور أنه يتحين الفرصة المناسبة حتى يودعها ويرحل وهو يتمنى أن تفتقده كما يعرف جيدًا أنه سيفتقدها بدوره،

استقبلت نيرة نور بالقبل والأحضان ثم حيَّت آدم ويوسف الذي رحب بها وكأنها شقيقته وهو يلمح آسر بطرف عينه يرمقه بنظرات ساخطة فأراد أن يستفزه بمرح قائلاً: «أهلاً،أهلاً بوردة الصباح» ردت عليه نور:

- أسعد الله يومك يا يوسف»

تلفتت حولها تبحث عن جودي:

- أين جودي لِمَ لا أراها؟

- ستأتي حالاً فهي مع أم عمر في المطبخ فقد أصرت على تحضير الإفطار بنفسها.

علقت نيرة بمرح قائلة: - جودي طاهية ممتازة.

وأشارت لنور تجلس بجوارها قائلة:

- تعالي اجلسي يا نور لن تتأخر جودي.

سحب آسر كرسي لتجلس نور ثم التقط آخر وجلس بجوارها دقائق وحضرت جودي وخلفها أم عمر تقول بصوت مرتفع:

- لقد أتينا بما لذَّ وطاب»

فأسرع يوسف لمساعدتها،بعد الانتهاء من تناول الوجبة طلبت نيرة من نور وجودي أن يصعدا معها إلى غرفتها لتريهم ما اشترته من المول، أما آسر ويوسف فقد صحبا آدم إلى غرفة المكتبة لمناقشة مشروع إنشاء البناية التي أراد آدم أن تكون مقر آخر له في فرنسا فيما بعد.

رافق آسر نور إلى الشاليه وعند باب الحديقة توقف آسر ملتفتًا إلى نور يقول بتوتر:

- تعالي يا نور لنجلس ونتحدث في الحديقة.

شدها نحو كراسي الخيزران فجلست ثم استندت على المنضدة وهي تلاحظ تصرفاته المرتبكة

فأخذت تنظر إليه بترقب،وبدأ التحدث بهدوء وعيناه مثبتة عليها.

- تقريبا انتهت العطلة ولابد أن أعود إلى العاصمة.

انحصرت ابتسامتها في توتر :

- تُمهد الطريق لوداعي؟

فأجابها بجدية:

- نعم،كنت أنوي المكوث على أكثر تقدير أسبوعين ولكن مضى شهر ويجب أن أعود لمباشرة مهامي، كما أن الشركة في صدد إبرام عقود لمشاريع جديدة يجب مناقشتها مع أصحابها،لا يمكنني إهمال واجباتي يا نور.

فتحت نور فمها لتتحدث فلم تستطع فعادت لغلق فمها والنظر إليه صامتة في حين حملت مقلتاها دموعًا أبت أن تغادرها؛ فأدارت رأسها في اتجاه آخر،في محاولة لاستعادة رباط جأشها ثم عادت تحدق في وجهه:

- كنت أعلم أنك ستعود إلى القاهرة في أقرب فرصة،توقعت حدوث هذا منذ فترة.

حاولت الابتسام وهي تكمل حديثها:

- أشكرك على الأيام الجميلة التي قضيناها سويًّا،ستعلق في ذاكرتي على الدوام.

صمتت بعض الوقت ثم عادت تكمل:

- لقد أنرت أحلامي وبددت وحدتي .

غلبت العاطفة عليها فتلون صوتها بتأثير غصة وقفت في حلقها. ذابت اوصاله مع سماعه كلماتها الأخيرة التي داعبت أوتار قلبه، فضرب الحائط بجميع قرارته السابقة في التأني والانتظار خاصة عندما أكملت تقول حانقة :

- كنت مكتفية بوحدتي حتى أتيت وكسرت الحاجز الذي بنيته بيني وبين العالم بآسره، وها أنت ترحل،لِمَ لَمْ تفعل دون وداع،دون

أن أعلم؛ فأنا مجرد عابرة سبيل؟؟ في حياتك،ما أهمية الوداع يا آسر؟

مال بجسده حتى وصل ليدها، يضعها بين كفيه:

-من قال لكِ أنكِ مجرد عابر سبيل،أنتِ حياتي يا نور،فكيف للمرء أن ينسى دنيته!

هزّت نور رأسها وقد تملكت منها الحيرة:

- ماذا تقول!!

جذب يدها نحوه أكثر ثم رفعها نحو شفتيه يلثمها،خطفت حركته أنفاسها بل هزّت كيانها كله،وكأن الأرض انشقت تحت أقدامها وتوقف الزمن عند تلك اللحظات،ابتسم لها آسر

برِقَّة،ما نوع هذا الحب الذي يسيطر عليه فيوقف عقله عن العمل فلا يسمع سوى صوت دقات قلبه.

- تزوجيني يا نور.

تجمدت فيما اخذ عقلها يردد تلك الكلمات كأصداء صوت هز كيانها.

لم ترمش حتى ظلت عيناها متسعتين تحملق به،فعاد يقول بإصرار:

- أعطيني يدك،صعب أن أستمر في حياتي بدونك فهى لن تعود أبدًا كما كانت.

نفضت نور رأسها يمينًا ويسارًا ثم رمشت عدة مرات تحاول الاستيعاب،

- ماذا تقول؟

- تزوجيني من فضلك،

- كيف؟؟ .. منذ شهر فقط لم يعلم أحد منا بوجود الآخر على ظهر هذه الدنيا!

- تلك هي الأقدار ومُقدَّر لنا أن نلتقي ويتعلق كل منَّا بالآخر في شهر،كان من الممكن أن يكون أسبوعًا،أو حتى يومًا.

أمسك يدها يضغطها على صدره لتشعر بدقات قلبه وهي تختلج بين جنباته.

- أنتِ قدري،ومن يهرب من قدره!

ضغطت كف يدها فوق صدره وهي تتمتم:

- هذا جنون،إن قبلت وتزوجنا ثم خمدت جذوة نار قلبك المشتعلة،في ظل روتين الحياة،ماذا سيحدث لي وقتها؟

لم تنتظره ليجيب فأكملت:

- وقتها سأموت يا آسر،لن أتحمل صدقني وأنا أعرف يقينًا كم أحبك،أنا أضعف مما تظن.

ترك يدها ونهض واقفًا يحملق بها،لقد قالتها،قالت أحبك!

دار حول المنضدة ثم شدها لتقف، يحتضنها بين ذراعيه وهو يعلم يقينًا أنه صدمها بتصرفه هذا ولكنه لا يستطيع منع نفسه وليذهب التعقل بعيدًا تمتم بلهفه:

- تزوجيني ولن تندمي،تزوجيني لأبثُّكِ حبي ليلاً نهارًا،من يملّ من القمر وهو في داره،أشفقي على حالي أرجوكِ وكوني زهرة بيتي؛ كي أرعاكِ كبرعم صغير يتفتح بين جنبات صدري وأعدك أن لا يقل حبي لكِ أو تنطفئ جذوته.

أبعدها عن صدره فيما ظل ممسكًا بكتفيها ينتظر ردها.

- نعم.

●●●

(٨)

وقف ينتظر عروسه التي تأبطت ذراع شقيقها فيما يرفل فستان زفافها الأبيض حولها بنعومة،وفيما تتهادى خطواتها نحوه،تتسع ابتسامته الفرحة أكثر فأكثر،وكيف له أن يكتم فرحته،فقد انتظر ستة أشهر بالتمام والكمال حتى أتى هذا اليوم،

منذ أن وافقت على الزواج منه طلب منها حزم أمتعتها لتعود معه إلى القاهرة،فهو لم يستطع تركها خلفه، ورغم معارضتها بحجة تمهيد الطريق له مع أمها وشقيقها حتى تشرح لهم الموضوع،تذكر نقاشهم حول تلك النقطة وابتسامة خفيفة تعلو شفتيه وهي تقول:

- لا يا آسر لا يمكنني العودة الآن؛ فأمامي وقت لحزم أمتعتي والاتصال بأمي حتى تعلم برجوعي إلى البيت ثم بعد ذلك أكلمها عنك كما أن وليد سيصدم عندما يعلم بأمرنا فقال لها وابتسامة جذابة تعلو شفتيه حتى أنها شعرت كأنها مُنَوَّمة مغناطيسيًّا:

- نور حبيبتي الأمر أبسط من هذا بكثير،ما نحتاج إليه هو ترتيب مقابلة مع شقيقك،وأحضر أنا مع عائلتي ويوسف بما

أنه سيكون حلقة الوصل بيننا،أتقدم رسميًّا،كما يفعل أي راغب للزواج، هذا ما يسمى بالارتباط التقليدي سيدتي الجميلة.

وها هي الستة أشهر التي أصرَّ عليها وليد قد انقضت،وها هي عروسه الفاتنة، تتقدم برشاقة لا تعي ما حولها سوى فارس أحلامها الفاتن الذي ولأول مرة تراه بلباس رسمي، كم هو جذاب،شعرت بروحها تطير وتحلّق عاليًا لتصل إليه مع تلامس أصابعهم فيما يُسلمها إليه وليد،إنه هو سعادتها المنتظرة ابتسمت في خجل وعيونها تشرق عشقًا فيما يضم ذراعها إلى صدره،وتبدأ الدفوف في العزف لتزف العروسين إلى قاعة الفرح،أجلسها في الكوشة ثم جلس بجوارها يمسك بيدها في قبضته متمتمًا بصوت خافت:

- مبروك يا عروسي.

خفضت رأسها في خجل:

- اللّه يبارك فيك يا حبيبي.

تأوَّه مع سماعه تلك الكلمة «حبيبي» ضحكت في خجل،ومضى الوقت حتى جاء موعد رحيلهم إلى عش الزوجية، ولأنَّ آسر شخص مختلف كان قد رتب عرض بالمفرقعات فيما هم في موكب

العرس،انطلقت القذائف والصواريخ لتلون صفحة السماء واحدة تلو الأخرى فيما تعلقت عينا نور بالسماء، وكأن النجوم كانت تحتفل بهم هي أيضًا فتلونت صفحة السماء في عرض بديع.

أشار آسر لنور:

- انظري حبيبتي .

تبعت عيناها يده فرأت بالونًا أحمرًا كبيرًا معلقًا بين السماء والأرض كتب عليه

«أحبك يا نور»

صرخت بابتهاج وذهول ثم تعلقت في عنق آسر تحتضنه وهي تتمتم: «كم أحبك «

افترقت عنه في خجل وهي تتذكر جمع المشاهدين،عانقت عيناها السماء مرة أخرى لتسجل ذاكرتها هذا المشهد الخلاب الذي أعلن على الملأ مدى الحب الذي يربط قلبيهما،إنه يبهرها على الدوام لا تتوقع ردود أفعاله،دائمًا يأتي بما يفوق توقعاتها.

ما لبثا أن وصل الموكب إلى بيتها الجديد، ارتمت نور فوق صدر أمها فيما فيما تمتمت أمها في اذنها، وهي تحتضنها بشدة:

- وأخيرًا جاء اليوم الذي انتظرته طويلاً وأصبحتِ عروس يا نور،الحمد لله عوضكِ الله خيرًا، آسر رجل جيد وهو يحبك بالفعل فاحرصي على إسعاده كما يفعل بالمقابل،امنحيه الثقة وافتحي قلبكِ له،ولا تخفي عنه أمرًا،أنتِ تفهمين ما أريد قوله يا حبيبتي،أليس كذلك؟

تجاهلت نور ما ترمي إليه أمها كما حاولت طمأنتها:

- لا تخافي يا أمي فأنا أحب آسر وسأحرص على سعادته.

تطلعت نحوه وهو يتبادل الحديث مع والدته ثم يمازح يوسف الذي استمر في إغاظته، وأضافت وهي تناظره بمحبة:

- أثق به لدرجة الخوف عليه من معرفة ما مضى ودُفِن.

التفت إليها آسر كأنه شعر بنظراتها، فأقبل عليها ليمسك يدها يلثم أصابعها الرقيقة بشفتيه، أقبلت نيرة ببطنها المنتفخة خلف ثوبها الزهري،عانقتها ثم قالت:

- حبيبتي،ألف مبروك،حمدًا لله أن مساعيَّ في جمعكم معًا قد أثمرت،فآسر رجل تتمناه أي امرأة فاحرصي عليه يا نور،أحذركِ من الآن هنالك من يتحين الفرصة لخطفه منكِ.

ضحكت نور:

- من تلك التي تسعى لحتفها.

صمتت مبتسمة ثم أضافت:

- أعلم ما قمتِ به من محاولات يا نيرة، وكم أنا ممتنة لكِ فلولا مساعيكِ لكنتُ على نفس حالي البائس.

فقالت نيرة مبتسمة:

- لا أظن ذلك يا نور فآسر لا يحتاج إلى دفع فقد كان عنده استعداد لمحاربة أي كائن حتى ينال ما يصبو إليه، بمساعدتي أو بدونها كان سيصل إلى هدفه، كما أني شعرت بانجذابك إليه فلم تحتاجي إلاَّ إلى دفعة بسيطة ليس إلا.

اقترب آدم ليحتضن كتفي زوجته قائلاً فيما يغمز بعينيه: - «آسر يكاد يقتلنا،احتلالنا أسفل بيته دون مغادرة يكاد يقتله.

حرك رأسه في اتجاهه وهو يكمل ضاحكًا:

- انظرا.

توردت وجنتا نور فلكزت نيرة كتف زوجها وهي تقول تؤنبه:

- تحشم يا رجل.

حملها حتى غرفة النوم ثم وضعها برفق فوق الفراش،جلس بجانبها يحدق بها في إشراق وهي تخفض رأسها في خجل حتى وصل إليها صوته:

- وأخيرًا يا نورر،جمعنا بيتٌ واحد.

خرج صوتها خافتًا مرتجفًا:

- نعم .

قهقه ضاحكًا وهو يقول:

- فقط،نعم؟

- آسر من فضلك لا تحرجني.

أخذ يقترب وهي تبتعد،يقترب وهي تبتعد حتى كادت تقع لولا يده التي أحاطت بكتفها فيما يقول بنبرة إغواء:

- أولم نكتفِ بِعاد حبيبتي.

صُدِمَت من كلمته فأدارت رأسها تحدق في عينيه تسأله:

- متى ابتعدت عنك يا آسري.

تأوَّه بعمق: - آسري، قوليها مرة أخرى أرجوكِ.

تدللت وهي تعترض: - آسر أرجوك لا تحرجني.

ربت على وجنتيها مطمئنًا:

- حسنًا حبيبتي لن أضغط عليكِ؛ أعلم جيدًا كم أنتِ مرتبكة وأُقدِّر هذا جيدًا»

غامرت ووضعت رأسها فوق كتفه فيما تمتمت:

- أشكرك على هذا اليوم الرائع،لم أتوقع ما حدث ولا حتى في أكثر أحلامي جموحًا،كل ما عشته ضربًا من ضروب الخيال.

تذكرت البالون فقفزت بعيدًا عنه وهي تصيح:

- والبالون! كان أكثر من رائع،ستحسدني الكثيرات بالتأكيد.

شدها نحوه فيما يحاول إغواءها:

- مالنا وغيرنا، ركزي على ليلتنا.

غزت الحمرة وجنتيها فخفضت رأسها وهي تقول في خجل:

- آسر،أرجوك.

تأوَّه مرة أخرى:

- عيون آسر،تعالي يا حبيبتي..سأقصُّ عليكِ قصة ما بعد النوم»

وبالتأكيد لم تستطع العروس الهرب من فارسها.

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

(٩)

- نور، نور، أين أنتِ؟

- هنا حبيبي.

قاده صوتها إلى المطبخ فوجدها منحنية بجوار الفرن،تضع صينية الكيك.

استقامت ثم التفتت إليه مبتسمة،هفا قلبه إليها فرغم مرور شهرين على زواجهما ما يزال يشتاق إليها، حتى وهي بين أحضانه لا يشبع منها أبدًا أو من التطلع في وجهها،فقد آلف طباعها وتصرفاتها العفوية حتى خوفها من الظلمة جعله يخاف عليها كطفلة صغيرة، ها هو ينظر إليها ويتذكر ليلة زفافهما، لمح عينيها تشتعلان فأدرك أن نفس الفكرة طرأت على بالها وكأنهما على اتفاق؛ فعادت بهما الذاكرة إلى تلك الليلة فيما أخذ يمازحها وهي تحاول التملص منه ثم قام باقتراح آخر عليها حتى يكسر حدة توترها:

- لنلعب لعبة، تفكين لي أزرار قميصي واحد تلو الآخر وأنا أنزع عنكِ طرحتك، حركة مقابل حركة.

اتسعت عيناها في ترقب وردت ببراءة:

- وما الداعي!

غمز لها بعينه وهو يجيب:

- لن تعرفي إلا بعد أن نبدأ.

وانتهت اللعبة كما خطط لها تماماً تمامًا، أما الآن فأخذت عيناها تتابعه بشغف فيما هو يتوارى خلف باب مكتبه.

بعد أن جهزت مائدة الغداء تبعته.

وضع آسر هاتفه جانبًا بعد أن أنهي مكالمته، مدَّ ذراعه نحوها:

- تعالي.

وصلت إليها فلف ذراعه حول خصرها ثم أجلسها على ركبتيه، أحاطت رقبته مبتسمة ثم طبعت قبلة على وجنتيه فلمس أنفها بخفة قبل أن يقول:

- جهزي نفسك سنسافر.

نظرت إليه مندهشة وقالت: - إلى أين؟

- برلين،إنه الموعد السنوي لمؤتمر الأعمال الهندسية،لم أعتد التخلف عنه،وبما أني لا يمكنني الابتعاد عنكِ سأصطحبكِ معي.

ردت بهدوء: - متى؟

- خلال ثلاثة أيام،سكرتيرتي قامت بحجز الطائرة وكل شيء جاهز تقريبًا ماعدا حقائب السفر.

- ولِمَ لم تكلمني عن هذا الأمر من قبل؟

- لقد أردت مفاجأتك ليس إلا.

لم تستطع الرفض رغم رغبتها في هذا وبالفعل حلّقت الطائرة بهم إلى ألمانيا ومن المطار استقلا سيارة إلى أحد ضواحي برلين حيث مكان إقامتهم خلال الفترة القادمة،تخطت السيارة الأبواب الحديدية لمدخل الفيلا التي فُتِحَت آليًّا ثم توقفت بهم السيارة أمام مدخل الفيلا مباشرة، وقفت نور تنظر إليها ،بناء على الطراز الفرنسي بسطح من القرميد البُنِّي،أكثر ما يميزه نوافذه المشرعة والتي أحاطت بالبناء،تجاوزت الردهة واخذت تتطلع حولها بفضول حتى طلب منها آسر الصعود إلى غرفتهم .

- لابد وأنكِ متعبة من السفر وفارق التوقيت أرهق جسدكِ، تعالي لنصعد إلى غرفتنا.

وبالفعل ما أن لامست رأسها الوسادة حتى غابت في سبات عميق حتى استيقظت على لمساته الناعمة فوق صفحة وجهها،فتحت عينيها على ابتسامته الجميلة، مطت جسدها بدلال ثم نهضت لتطبع قبلة رقيقة على وجنته، وفيما هو يهمُّ بمعانقتها تسربت من بين يديه وهي تضحك بمرح ، تسرع إلى غرفة الحمام وقبل أن تغلق الباب عليها أطلت برأسها ونفخت قبلة في الهواء وهي تقول له:

- تلقف هذه حتى أخرج.

قضيا ثلاثة أسابيع ، صباحًا آسر في قاعة المؤتمرات وبعد الظهر مصطحبا نور إلى المزارات والأحياء القديمة كما زارا العديد من المطاعم الشعبية،ولم ينس الحي الصيني وتذوقت السوشي الذي لم تستسغ طعمه أبدًا،،في بعض الأوقات كانت نور تسجل ملاحظاتها كمرجع تستخدمه في عملها القادم، لِمَ لا تجعل مغامرة لوليتا القادمة هنا في برلين؟

ما لبث أن انتهى الأسبوع وعادا إلى الديار مرة أخرى،آسر نهارًا في العمل وليلاً مع زوجته التي اعتاد على وجودها وكأنه كان منذ الأزل.

طبع قبلة فوق شفتيها وهو يهمس:

- اشتقت إليكِ،لم أستطع المكوث أكثر من هذا في الشركة،وها أنا.

راوغته نور تتمتم:

- أما أنا فلم اشتاق إليك أبدًا.

علا العبوس وجهه آسر فمدَّت يدها تفرد ما بين حاجبيه وعادت تهمس له وهي تشير إلى صدرها جهة القلب:

- أنت هنا،وطالما أنت هنا،فأنت لم تغادرني أبدًا،فكيف بالاشتياق؟

- واااو،رد لم أكن أتوقعه!

- وماذا توقعت سيدي، أنت تعلم إحساسي نحوك وكيف هو،فلا تشك في تلك الحقيقة مطلقًا.

على مائدة الغداء أطلعها على آخر تطورات العمل والتعاقدات الجديدة وبالرغم من عدم فهمها لكثير مما يتكلم عنه إلا أنها تصغي إليه بانتباه تام،وفيما بعد وهما يستريحان على الأريكة يشاهدان التلفاز ونور متكورة بين أحضانه،وهو يمرر أصابعها بين خصلات شعرها

قال لها: «سنسافر مرة أخرى يا نور»

رفعت رأسها تحملق في وجهه مندهشة:

- برلين مرة أخرى يا آسر.

- لا يا حبيبتي، سنسافر إلى باريس.

شحب وجهها وتمتمت بارتباك:

- ولماذا؟ ما الداعي؟

- تحتم عليَّ معاينة قطعة الأرض التي سنقوم بإنشاء المبنى الإداري الخاص بأعمال أدم عليها .

لم يخلو صوتها من الحدة:

- ولِمَ لم يعهد لشركة هندسة فرنسية للقيام بالأمر؟ ما الداعي ليستعين بك؟

اندهش آسر:

- ماذا تقولين أنتِ؟ هل جننتِ؟ يوسف شقيق زوجته كما أن هذه فرصة لن تعوض أبدًا.

تلعثمت وهي ترد:

- أنا،أنا لم أقصد،ولكن فرنسا تبعد كثيرًا،و،ا،أنا،أنا»

obeikandl.com

توقفت قبل أن تطلق زفرة عميقة من بين شفتيها ثم تقول:

- أنا آسفة يا آسر،اعتبر أني لم أقل شيئًا.

تطلع في وجهها بعينين حادتين تحاولان التوصل إلى ما يحدث معها؛ فهو لم يَفُته شحوب وجهها وارتباكها الملحوظ أشار إليها وهو يقول:

- نور أنا لا أعلم ما يحدث معكِ،حتى تصل مناقشتنا إلى هذا المنحنى،بصراحة لم أفهم شيء ولكني سأكون في انتظار تفسيرًا منكِ.

- استعدي لمرافقتي.

باريس؟ لا،لن تعود إلى هناك مرة أخرى، لن تخطو قدماها تلك الأرض ثانيةً!

نهضت وهي توجهه:

- لا.

- لا؟

تحركت في الغرفة ذهابًا وإيابا أمام نظره الذي تابعها في اندهاش، ثم التفتت إليه تفرك يديها في توتر وقالت:

- آسر من فضلك طبيعي جدًّا أن تسافر من وقت إلى آخر،وليس عليَّ أن أصحبك دائمًا.

هبَّ واقفًا: - نور،أنا لا أفهمك؟

- ما الذي قلته وأنت لا تفهمه،أنا أخبرك فقط أنه لا يمكنني السفر ليس إلا.

حرك رأسه غير مصدِّق:

- لماذا؟ لقد سافرت معي من قبل ولم تعترضي وقتها كما تفعلين الأن !

أجابته بصوت مهزوز وعيناها تهرب منه:

- أنت قلتها،لم أعترض،وهذا لا يعني أنه يجب أن أوافق بالضرورة كل مرة أردت أن تسافر فيها،هذا تصرف غير منطقي.

- تصرف غير منطقي،ما هو المنطقي في الأمر،شحوب وجهك هذا وارتباكك الملحوظ وكأني أقودك إلى المقصلة لا إلى رحلة في بلدٍ آخر!

كتفت ذراعيها فوق صدرها تحاول التحكم في انفعالها:

- لي مطلق الحرية في أن أقبل السفر إلى باريس من عدمه،أنا لا أحب هذه البلد،كما أني بدأت العمل على قصة جديدة كما تعلم.

obeikandl.com

- مبرر واهي.

لأول مرة يتكلم معها آسر بتلك القسوة، وأضاف قائلاً بعد حين وهو يحاول أن يكون أكثر حكمة وهدوء:

- لن أسمح لك بالتخلف عن تلك الرحلة يا نور مهما فعلتِ.

- ولِمَ العناد هذا يا آسر،هل تجبرني؟

- تعلمين أن عائلة جودي تقيم في باريس،وقد قرر يوسف أن يحتفل بخطوبته هناك، كما أن آدم ونيرة سيحضران بطبيعة الحال، وأنا يا نور،ستتركيني وحدي؟

ضعفت إرادة نور،وقالت وغصة تؤلم حلقها:

- لِمَ كل هذا التعقيد فما فائدة حضوري من عدمه،لن يلاحظني أحد على أكثر تقدير؟

- أنتِ زوجتي ويقع على عاتقك مسئوليات كثيرة يجب أن تأخذيها بعين الاعتبار،فلا تخذليني يا حبيبتي.

- وغمز لها بعينه مضيفًا:

- ثم كيف أذهب دونك،ألا تخافي من أن أعود متأبطًا ذراع فرنسية حسناء.

لكزته في كتفه فيما أخذت الابتسامة طريقها إلى شفتيها.

تمتمت موافقة،فاحتضنها بين ذراعيه ليستريح رأسها على كتفه باستسلام تحاول تقبل فكرة العودة إلى أرض كرهت بشدة أن تطأها قدميها مرة أخرى،فكيف السبيل إلى الخلاص!

●●●

obeikandl.com

(١٠)

لم تتخيل نور أن الأقدار سوف تسوقها إلى ماضيها مرة أخرى،حتى في أسوأ كوابيسها رعبًا فبمجرد أن لمست أقدامها أرض مطار باريس حتى شعرت بأن قوة هائلة تمسك بخناقها.

وحدثها قلبها وكأنه يعلم مسبقًا ما قد يلحق بها من ضرر:

- اهربي،ارجعي من حيث أتيت،الجحيم ينتظرك هنا،فما زال المجرم حر طليق، يمرح على أرض هذه المدينة،نعم ما زال طليقًا،ما الذي جعلك ترضخين في صمت،لِمَ لم تخبري آسر،لِمَ لم تشاركيه ماضيك ومخاوفك!

ولكنها تعلم الإجابة استحالة إفشاء هذا الأمر،إنها تحبه،وتخاف من ردود فعله إن علم عن ماضيها الموحش.

لا تريد أن تؤلمه،لقد أغلقت تلك الصفحة من حياتها وهي تنوي عدم الرجوع مطلقاً عن قرارها مهما كانت أهمية من ستبوح له نيرة كانت استثناء،لأنها امرأة مثلها وستفهمها كما أنها ترفض أن ترى نظرة شفقة قد يرمقها بها،طبيعتها الغريبة تجعلها تنْأى بأحبابها عن أي ألم قد يلحق بهم كما فعلته مع وليد توسلت

لـه لكـي لا يضغـط عليهـا في معرفـة التفاصيـل،كل مـا طلبتـه منـه فقـط العـودة إلـى سـماء القاهـرة، بـل وأقنعتـه أنهـا سـتكون بمأمـن طالما هـي بعيـدة بمـا فيـه الكفايـة عـن فرنسـا بحيـث لـن يعثـر عليهـا الرجـل المهـووس الـذي لـوث ماضيهـا.

التفتـت تنظـر إلـى آسـر الـذي ابتعـد عنهـا ليكمـل معامـلات الخـروج مـن المطـار، ورددت في نفسـها وقالـت:

– آه،وآه،يـا حبيـب قلبـي كـم أخـاف؛ فأنـت لا تعلـم مـدى الرعـب الـذي أعانـي منه،لِمَ لَمْ أصـرُّ علـى رفضـي بـل والهروب،هـل تعنـي لـي الكثيـر حتـى أضـع سـلامتي بـين شِـقَّي الرحـى،لا أريـد أن أتـركك فأنـت حياتي،أدمنتـك وأصبحـت أتنفسـك كالهـواء لا يمكننـي العيـش دونـك.

لاح الأمـل في ذهنهـا وهـي تتمنَّـى أن تمـر فتـرة إقامتهمـا في باريـس دون مشـاكل، فيمـا بعـد وصـلا إلـى محـل إقامتهـم:

- خـذي قسـطًا مـن الراحـة حتـى أعـود إليكِ،سـوف تجـدي السـيدة «لـي» مدبـرة المنـزل موجـودة في الشـقة لخدمتك،اطلبـي مـا تريدينـه منهـا.

- لا تقلـق يـا آسـر،فأنا أسـتطيع تدبـر أمـري دون مشـاكل، ولا تنسَ أننـي معتـادة علـى خدمـة نفسـي عرَّفهـا علـى محتويـات

الشقة وقابلت السيدة الفرنسية ذات الأصول الصينية والتي تعتني بكل شيء، توجهت لغرفة النوم بعد أن تركها آسر وذهب،أخرجت محتويات الحقائب ورصتها في مكانها، وفيما هي تفعل ذلك تناولت ثوب السهرة الذي سوف ترتديه في حفل الغد،ثوب من اختيار آسر حيث أخذها بالأمس للتبضع رغم احتجاجها واصرارها على أن خزانة ملابسها مليئة بملابس السهرة التي لم تجد فرصة لارتدائها بعد ولكنه أَصرَّ قائلاً:

- لا تعترضي أرجوكِ يجب أن نعثر على ثوب مميز هذه خطوبة يوسف يا نور كما أني أريد التبضع لزوجتي،عندك اعتراض؟

رضخت نور بل وتمتعت بالجولة الشرائية،حتى أنه لم ينسَ الإكسسوار فانتقى لها عُقْد مميز وحَلَق يناسبه، وها هي تتأمل الثوب الليلي الجميل،تنهدت وهي تعلقه،ثم توجهت إلى الحمام بثوب نومها، وبعد حَمَّام سريع ارتمت فوق الفراش لتذهب في سبات عميق،استيقظت وقد حلَّ الليل فيما يقف آسر بجوار النافذة ينظر إليها فابتسمت له قائلة بصوت أجش:

- منذ متى وأنت هنا؟

قادته خطواته نحوها ثم جلس على حافة الفراش قائلاً:

- منذ نصف ساعة تقريبًا، غيرت ملابسي وكنت أستعد لإيقاظك من النوم،هيا العشاء جاهز على المائدة، انهضي يا كسولة حتى لا أغير رأيي وتكونين أنتِ وجبة عشائي.

ضحكت وهي تدعك عينيها لتفيق:

- ولِمَ؟ الطيب أحسن،كما أني جائعة جدًّا.

غمز لها يُلمح لشيء آخر فضحكت وهي توضح:

- للطعام يا آسر.

في مساء اليوم التالي وصلا إلى قاعة الاحتفالات في أفخم فندق في باريس لم تعلم نور وضع جودي العائلي؛ بما أن والدها سفير دبلوماسي فقد أحاط بها جمعٌ هائلٌ من الشخصيات المهمة ما بين سياسيين وفنانين وغيرهم،تشبثت بذراع آسر دون أن تشعر وهي ترى العديد من مصوري الصحف،لا تعلم لِمَ لَمْ تحب هذا،أدار آسر عينيه نحو نور يحملق بها وهو حائر من طبيعة تصرفها،ضغط على أصابعها مُطَمْئِنًا:

- ما بكِ،تتشبثين بي هكذا،هل هناك ما يزعجك؟

احمرَّ وجه نور وردت بتلعثم قائلة:

- لا إنه فقط جمع هائل من الشخصيات،أشعر بالغرابة في مثل ذلك المحيط،إن تحركت خطوة بمفردي سأضيع بالتأكيد.

ضحك آسر وهو يربت على يدها:

- لن تضيعي فأنا لن أفلتك طيلة الوقت، وحتى لو تركتكِ، سأجدكِ على الفور.

صاحت قائلة وهي تشير في الاتجاه المقابل:

- ها هي نيرة،تقف هناك،لنذهب إليها من فضلك.

تعانقت الصديقتان ثم تجاذبا أطراف الحديث أخذت نور تمازح نيرة حول فستان سهرتها الذي أحاط ببطنها المتضخمة، وفي منتصف الحديث انتابها إحساسٌ غريبٌ جعل بدنها يقشعر فأدارت عينيها هنا وهناك،أمسكت نيرة بذراعها فيما لاحظت التغير المفاجئ الذي أصابها:

- ماذا حدث، هل أنتِ بخير؟

أجفلت نور واستدارت تواجه نيرة،فأضافت نيرة بحيرة:

- نور؟ هل أنتِ مريضة،هل أستدعي آسر

فقالت لها نور بصوت مرتجف:

- لا،لا يا نيرة لا تزعجيه،إنه فقط،فقط.

- فقط ماذا؟

- لا أعلم ينتابني شعور مقلق وكأن أحد يراقبني.

تطلعت نيرة حولها ثم قالت:

- الكل مشغول بحاله هنا،ما الذي جعل هذا الشعور يتملكك؟

- أنتِ تعرفين،لم أكن أرغب بالعودة إلى هذا المكان ثانيًا ولكني لم أستطع.

تعاطفت نيرة معها فانعكس تأثرها على صوتها:

لا تخافي لستِ وحدكِ هنا،لن يتمكن منكِ أحد أو يضركِ

- خرج صوت نور مرتجفًا:

- هذا الرجل مازال حرًّا طليقًا يا نيرة،وطالما الوضع هكذا لن أطمئن أبدًا

فغرت نيرة فمها بذهول:

- لم يُقْبَض عليه؟

- نعم لقد استطاع الهرب من الشرطة،لا أعلم كيف ولكني أشعر به بل وأتشمم رائحته النتنة في الهواء.

خفق قلب نيرة خوفًا فكلام نور يخيف لو صدق إحساسها فهي في خطر بالتأكيد،ازدردت ريقها قبل أن تقول بصوت مرتجف:

- لا تخافي حرس الأمن يحيطون بالمكان ولا يمكن أن يحدث لكي شيء بينهم،وبالرغم من هذا حتى تطمئنِّي أكثر يجب أن نأخذ حذرنا ونخبر آسر،
- همَّت بمناداته فقبضت نور على ذراعها بشدة وقالت بعنف:
- «لا،لا يا نيرة، آسر لا،لا أريد أن يعلم شيء»
- ولماذا؟

فركت يدها بتوتر:

- لا أعلم فقط لا أريده أن يعلم،فإن صدق حدسي وتأكدت شكوكي فمن الممكن أن يكون آسر هو الآخر في خطر،الرجل مريض يا نيرة بل مهووس من الممكن أن يؤذيه.

جادلتها نيرة وهي ترى أن نور لا تتصرف بتعقل في اعتقادها؛ آسر رجل لا يستهان به ويستطيع التعامل بحكمة مع أمثال هذا الرجل هو قادر على إنهاء هذا الموضوع وبَتْرِه تمامًا من حياة نور، لكن ما يفاجئها أن نور لم تخبر آسر عن ما حدث معها في الماضي لماذا!هذا ما سألته لنفسها.

أصرت على موقفها فقالت:

- لما لا تحكمين عقلك،من الخطأ التكتم حول موضوع خطير كهذا»

قاطعتها نور قبل أن تكمل حديثها وقالت تحذرها:

- نيرة لا تجعليني أندم على مصارحتك.

وأضافت بتصميم:

- دعي الحفل يمر بسلام،لا أريد حدوث أي بلبلة أو مشاكل الآن.

- حسنًا،حسنًا ولكني لن أتركك وحدك سوف أظل ملتصقة بكِ إلى إن تنتهي الحفلة أو بتسليمك إلى آسر،لا تتحركي من جواري أبدًا من فضلك.

- لن أفعل ولكن أرجوكِ تصرفي بطريقة طبيعية لا أريد أن يلاحظ آسر شيء.

- إلى متى يا نور فأنتِ تتصرفين بطريقة غير عقلانية كأنكِ مذنبة،أنتِ لم تخطئي في شيء، كما أنكِ لن تستطيعي الاستمرار على هذا النحو! يجب أن تخبري آسر وهو يقرر عنكِ.

obeikandl.com

لمحت نور آسر يقترب هو وآدم وهم يتمازحان،فطلبت من نيرة أن تصمت أو تغير الموضوع ثم أخذت نفسًا عميقًا استعدادًا للقاء زوجها، أحاط كل منهما بخصر زوجته،وهما يتحدثان عن العروض التي تهافتت على الشركة والفضل يعود لآدم،ابتعد آدم بنيرة يُعرِّفها على أحد الشخصيات، تطلعت نور في أثرهم فهمس آسر في أذن الشاردة:

- اشتقت إليكِ.

- التفتت نحوه فيما فترت شفتاها عن شبح ابتسامة فقالت له بصوت قصدت أن يخرج طبيعي:

- وأنا أيضًا يا حبيبي»

- لِمَ لا نفعل مثلهم؟

أشار إلى يوسف وجودي وهما يرقصان وقد لحق بهم العديد :

- أريد احتضانك حبي.

تعلقت برقبته دون اعتراض فيما أراحت رأسها فوق كتفه علَّها تخمد النيران التي تشتعل في جنبات صدرها،هدأت بعض الشيء بل وتاهت في عالم آخر، توقفت الموسيقى وحان موعد

ارتداء شبكة العروس، تكتكت الكاميرات تسجل تلك اللحظات،أخذ الجميع يصفق ثم أُفتُتِح البوفيه.

وضعت نور رأسها فوق الوسادة وهي شكر الله على انتهاء تلك الليلة العصيبة ،في اليوم التالي جلسا يتناولان الإفطار،وفي نفس الوقت يتصفح آسر الجريدة.

- انظري يا نور،مقال عن حفل الأمس مدعوم بالصور،وها نحن أنا وأنتِ،انظري،

تناولت نور الجريدة منه،حدقت بصورتهم متوجسه مما قد يحدث والتعليق تحت الصورة،رجل الأعمال آسر الطيب مصطحبًا زوجته،تناهى إلى مسامعهم صوت الهاتف فتجاهلته نور فيما ظلت تحدق في الجريدة.

نهض آسر يجيب عليه وهو يقول لها:

- دقائق وسأعود.

- الو؟

- احذر،إنها لي.

صُدِم آسر واتسعت عيناه دهشة فتمتم:

- عفوًا،من المتكلم؟

فرد المتصل وصوته يشبه في حدته فحيح الأفاعي:

- قلت لك إنها لي،لي وحدي،انتظرت عودتها وها هي قد عادت،حبيبتي وحدي.

- من هي؟!

- ومن غيرها يا رجل،نور حبيبتي،امرأتي.

أغلق الخط فأجفل آسر وشرد بنظراته يتساءل هل هذه المكالمة حقيقية؟ومن هذا المجنون؟

دفعت نور الجريدة جانبًا ثم حدقت في أثر زوجها،ماله يقف متجهمًا هكذا وهو يحدق في السماعة كأنها أفعى سامة.

نادته: - آسر ؛ آسر.

لم يرد عليها كأنه في عالم آخر ذهبت إليه ثم ربتت على كتفه مستفسرة عن ما أصابه:

- ما بك تقف هكذا،من المتصل؟

- حملق في وجهها لعدة دقائق دون أن يجيب

فأكملت: - آسر! منظرك يخيفني.

قال بخشونة: - لا تشغلي بالك،مكالمة خاصة بالعمل.

- عمل! هو ما يجعلك متجهمًا هكذا،لم يسبق لي أن رأيت مثل هذا التعبير الذي يعلو وجهك!

صب جام غضبه عليها قائلاً:

- ألا تصمتين قليلاً،كلام،كلام،قلت لكِ مكالمة عمل .

فغرت فمها دهشة من تعنيفه غير المبرر وكأنه تحول إلى شخص آخر لا تعرفه،أشاحت نظرها عنه فيما احمرَّ وجهها من الإحراج والإذلال:

- أنا أتكلم كثيرًا يا آسر؟، أنا! حسنًا،آسفة إن كنت ضايقتك،سأصمت تمامًا،بل سأدعك وحدك أيضًا.

استمر في تعنيفها: - يكون أفضل.

لم تستطع تصديق أذنيها ما الذي حدث له؟هرولت إلى غرفتها وهي لا تستطيع تقبل ما يفعله،حدق في أثرها مقاومًا إحساسه بالضيق من نفسه ورغبته في اللحاق بها،كيف له أن يكلمها بهذه الطريقة،فما ذنبها؟ ذنبها؟ وعادت كلمات الرجل تتردد كالصدى في أذنيه،تُرى من هو؟ إنه يعرف اسمها؟ لقد قال نور؛ هذا الحيوان تجرَّأ وتكلم عن حبه لامرأته، زوجته،شعر بنيران الغيرة تشتعل في صدره تهدد بإحراق الأخضر واليابس، أي شيطان هذا؟

●●●

(١١)

مرَّ أسبوع، وآسر يبدو مشغول في العمل على مشروع المول،حاولت نور كثيرًا أن تقنعه بالرجوع إلى القاهرة وترك يوسف ليتولَّى الأمر مكانه إلا أنه أصرَّ على ضرورة وجوده هو شخصيًّا ولعدة أسابيع:

- أرجوك يا آسر، يوسف يستطيع الحلول مكانك، أريد العودة إلى القاهرة.

- أريد العودة،أريد العودة،ألا تَملِّين يا نور،كوني على قدر من تحمل المسئولية من فضلك وألا تتصرفي كالأطفال.

حدقت به: - أتصرف كالأطفال،لأني طلبت أن يحلّ يوسف مكانك يا آسر.

لم أتعود على الاتكال على أحد آخر لإنهاء عملي يا نور،أنا ويوسف لكل منَّا تخصصه هو أيضًا يعمل بجد ولا يصح أن أحمله فوق طاقته.

- وأنا أيضًا لي عملي وعائلة ولم أتعود التغيب عنهم فترة طويلة.

- أنا أيضًا من عائلتك يا نور لا تنسي أنكِ امرأة متزوجة الآن ولكِ التزامات يجب أن تفي بها،وإذا كان على جدتك ووالدتك، تستطيعين مهاتفتهم في أي وقت حتى رواياتك تستطيعين العمل عليها من هنا وأنتِ تقومين بهذا بالفعل.

وأشار إلى جهاز اللاب توب،الذي تخصص للعمل عليه بضع ساعات يوميًّا،احمرَّ وجهها حنقًا:

- ما الذي حدث لك حتى تكلمني بتلك الطريقة الجافة.

تنهد حانقًا فهو يعلم جيدًا أن انفعالاته غير مبررة ومن الممكن أن يأخذ الأمور بروية،ولكنه يقبع فوق صفيحٍ ساخنٍ، ولن يهدأ له بال حتى يرسى على برٍّ معها،تنفك عقدة لسانها أو يكتشف سرها مع رجل الهاتف وحده.

لم تنتظر تفسيرًا منه فأسرعت الخطى بعيدًا عنه تلوذ بغرفتها التي أصبحت أنيستها فمجرد مشاهدتها له وهو يحدق بها هكذا لا يريحها؛ فهي لم يغب عنها مقدار التغير الذي أصابه فهو في بعض الأوقات يكون معها بجسده ولكن عقله شارد بعيدًا،حتى نظراته التي يرمقها بها من حين إلى آخر كأنه يحاول سبر أغوارها، وكان ألف سؤال وسؤال يتوارد على خاطره وعندما تسأله عن ما به يتهرب منها، خاصة في ظل عصبيته الزائدة عن

الحد،فتترك الأمر عند هذا الحد فقد تعبت من الاستمرار في هذا الوضع، كما أنها تكره المكوث أكثر من هذا هنا وتعلم جيدًا أنها تلح عليه كثيرًا في طلب العودة،مع أنها لا تغادر الشقة في أكثر الأحيان إلا أنها ما زالت قلقة من حدوث ما تخاف منه،حتى الهاتف عندما يرن،تتردد في الإجابة عليه،وعندما تغامر وترفع السماعة،يقابلها الصمت من الطرف الآخر ولا تسمع غير تلك الأنفاس المتلاحقة فيقشعر جسدها فزعًا وترمي سماعة الهاتف وتبتعد عنه، وعندما يكون آسر موجود تتجنب الرد عليه فيرد هو،كما أنها لاحظت أن في بعض المكالمات يحمرُّ وجه آسر بشدة وتشاهد يده تشد على السماعة تكاد تكسرها،ولكنها لا تتجاسر عن الاستفسار عن ما يحدث،هل من الممكن أن يكون هو؟ لا،لا يمكن،

وفي الحقيقة آسر أصبح حاله حال،يستطيع العودة إلى القاهرة ولكنه يعاند ويتحجج بطبيعة عمله فقط، أصبحت تلك المكالمات الهاتفية لغز ولابد من حلِّه؛ فالرجل لم يكتفِ بالاتصال على الهاتف الأرضي بل وحصل على رقم موبايل آسر الخاص؛ مما لا يدع مجالاً للشك أن الرجل جد خطير،حتى أنه هدده باللجوء إلى الشرطة فما كان من الرجل إلا أن ترددت أصداء ضحكته البغيضة لتصل إليه وهو يقول بفرنسيته السليمة:

- افعل ولا تتردد، وأنا بدوري سأتحدث عن طبيعة علاقتي بزوجتك،كل التفاصيل،بدا من جسدها الغض والوحمة أعلى فخذها،إلى،لا تدعني أكمل أرجوك.

عند هذا الحد غلى الدم في رأس آسر؛ فرمى الهاتف بعنف ليصطدم بالحائط ويرتد مُحَطَّما،رباه،لقد شاهد الرجل جسدها،كيف هذا؟ ملاحظته للتغير الذي أصاب نور منذ أن وصلا إلى باريس لم يجعل فكره أبدًا يصل إلى هذا الحد من التصور،هذا جنون!

كيف،ولماذا،وما الذي تخفيه عنه امرأته التي أصبح يشك في تصرفاتها دون إرادة منه،لِمَ لا تصارحه،لما تتركه على تلك الحالة من الجنون، دعك رأسه بيده علَّه يُجلي أفكاره ويصل إلى حل،يجب أن ينتظر حتى تظهر الحقيقة أمامه بهفوة من نور أو بظهور هذا الرجل ومواجهته،نعم هذا هو الحل سيراقب نور بل وسيستدعي محقق خاص ليتعقب تلك المكالمات دون أن يعلم أي أحد بالأمر، لقد فكر بالاتصال بالشرطة ولكنه يخاف أن يتطور الوضع وتصبح فضيحة،

وفي مكان آخر في منزل مهجور جلس رجل ذو بشرة فاتحة وشعر أشقر أشعث،في حجرة مهملة قذرة جدرانها زُينت بالعديد

من الصور وكلها لشخص واحد،نور،صور قديمة اهترأت من كثرة ما مرر أصابعه فوقها.

علَت وجه الرجل ابتسامة شيطانية فيما كان يلصق صورة أخرى مقصوصة من الجريدة،ثم أخذ يمرر أصابعه القذرة متلمسًا وجه معشوقته وهو يهمس بصوت مهزوز:

- انتظرتكِ طويلاً يا حبيبتي،طويلاً جدًّا،أتعلمين كم أنا غاضب منكِ لابتعادكِ عنِّي كل تلك الفترة،ولكني سأسامحك،نعم سأسامحك فقد وجدتكِ ولن نبتعد عن بعضنا البعض بعد ذلك. قبَّل الصورة ثم ارتدَّ ليجلس مكانه مرة أخرى دون أن يحيد نظره عن الحائط، ثم رفع الهاتف من عن المنضدة ليبدأ في الاتصال،لن يصمت بعد الآن لن يقف مستمعًا لصوتها العذب وهي تتساءل برِقَّة من المتصل دون أن يجيب عليها.

فتحت عينيها فيما أخذت تتمطى ممددة أطرافها بكسل،وهي تعلم جيدًا أن آسر رحل إلى عمله كعادته دون أن يوقظها كما اعتاد أن يفعل في القاهرة،ولكن سبحان الله للإنسان قدرة عجيبة على التغير،تنهدت بحزن ثم نهضت من الفراش ولكنها ما لبثت أن عادت ومالت فوقه عند إحساسها بالدوار الشديد،أسندت رأسها على الوسادة ثم أغمضت عينيها تنتظر أن يتلاشى هذا

الإحساس بالغثيان،سمعت صوت طرقات السيدة لي على باب الغرفة فأذنت لها بالدخول،دخلت مدبرة المنزل تحمل وجبة إفطار نور لكن بمجرد ما انتشرت رائحة الطعام في الغرفة حتى نهضت نور تجري على الحمام لتفرغ ما في جوفها الفارغ،

علا صوت لي من خلف الباب في قلق:

- سيدتي هل أنتِ بخير،هل تحتاجين لأي مساعدة؟

وضعت نور رأسها على السيراميك البارد لحائط الحمام وردت بصوت واهي:

- لا،يا لي لستُ بخير أشعر بالغثيان ورأسي يدور بلا توقف.

حاولت «لي» طمأنتها:

- حسنًا افتحي الباب من فضلك،وتعالي لتستلقي على السرير.

أسندتها حتى جلست فوق الفراش تحاول استجماع أنفاسها المسحوبة ثم رفعت رأسها تنظر إلى «لي» المحملقة في وجهها الشاحب:

- ماذا؟

- قد تكونين حامل.

صدمت نور ورددت الكلمة: حامل!

- نعم ، كل ما تشعرين به تمر به المرأة الحامل،استلقي قليلاً حتى يتلاشى هذا الإحساس ويزول التعب.

استلقت نور على الفراش ثم تحسست جبينها المتعرق،حامل! يجب أن تتأكد.

سألت لي: - هل تستطيعين جلب اختبار حتى أتأكد من فضلك؟

فترت شفتا لي عن ابتسامة خفيفة:

- بالطبع سأفعل ولكن أولاً تناولي بعض قطع البسكويت الجاف حتى تتحسن حالتك ثم سأذهب إلى الصيدلية لجلبه.

هزَّت نور رأسها بتفهم، كما لم تنهض من الفراش إلا مع حلول وقت الظهيرة،فتجولت في غرفة المعيشة تفكر كيف تخبر آسر خاصة في ظل مشاحنتهم المستمرة،هل من الصواب إخباره بحقيقة حملها خاصة بعد أن تأكدت بواسطة الاختبار الذي أتت به السيدة لي،لم تشأ أن يعلم الآن،يجب أن تستقيم الأوضاع بينهما أولاً، وستعمل هي على ذلك وفيما هي على هذا الحال حتى تناهى إليها صوت الهاتف، حدقت به ثم همَّت بمناداة لي لترد

ولكنها سرعان ما غيرت رأيها،وقد توقعت أن يكون آسر،رفعت السماعة دون أن تنطق بكلمة، فقابلها الصمت من الجهة الأخرى فتمتمت مرتبكة:

- اااالو،

- اشتقت إليكِ.

شحب وجه نور بشدة وترنحت مكانها؛ فمدَّت يدها الأخرى لتستند على الكرسي وتجلس عليه وقد اتسعت حدقتا عينيها برعب،دقات قلبها أخذت تدوي في أذنيها، ثم سمعت صوته الخبيث يتردد في أذنها ليقول في لهجة عنيفة حد الجنون:

- لقد انتظرت طويلاً طفلتي،انتظرتكِ لتعودي ولكنكِ لم تفعلي،هيئ لك عقلك انه من الممكن أن تفلتي من شبكي وبكل سهولة، ليصل بك الأمر حد الخيانة فتتزوجين هذا الحقير،.

ثم ضحك ضحكة شريرة اشمأزت منها

- رغم أنفكِ أنتِ لي وحدي،ملكي،ستأتين طوعًا أم؟،

تصبب عرقها وأحست بهدير يدوي في أذنها،أكمل يقول:

- قد آتِي أنا ولكن قبل هذا؛ أقتله.

هتفت في رعب: - أرجوك.

- لـن أجعلـكِ تتوسـلين مطلقًـا فيمـا بعـد جميلتي،فمـن وضـع يـده علـى جسـدك الجميـل يجـب أن يمـوت،

- أنت مجنون!

- مجنـون بكِ،حسـنًا لـن أقتله،حالـة واحـدة فقـط قـد تعتقـه ممـا قـد أفعلـه بـه، انتظـري مكالمـة أخـرى مني،سـأخبركِ أيـن نلتقـي.

رددت خلفه بذهول: نلتقي؟

- نعم حبيبتي،سنهرب،أنا وأنتِ فقط،

- أرجوك اتركني،أتوسل إليك ارحمني وانساني.

- أنسـى نـور! أنـا! لا يمكننـي ذلـك ولـو حاولـتِ جميلتـي أنـتِ قـدري وأنـا راضٍ بـه.

اخشنَّ صوته وهو يقول بقوة:

- تهـوري فقـط وحاولـي أن تغضبيني،لـن تجـدي سـوى المـوت أنـا وأنـتِ.

ضحك بجنون وأكمل:

- سـأقتلكِ ثـم أقتـل نفسـي،حتى نتحـد في العالـم الآخـر فأنـا لـن أتـركك أبـدًاااا حبي،وشـيء آخـر ابتعـدي عـن الحقير،أسـمعتِ؟ ابتعـدي عنـه تمامًـا.

obeikandl.com

ثم أغلق الهاتف، تهاوت في ضعف وخوف شديد ،فيما أخذت كلماته تتردد :

- سأقتله،سأقتله،

لا،لا،لا يمكن أن يحدث هذا،يجب أن ترحل،ستهرب،نعم ستهرب،ولكن آسر ماذا تفعل معه؟ لا يمكنها تركه هنا فالرجل مجنون تمامًا قد يقتله كما هدد وتوعد.

ماذا تفعل؟ ماذا تفعل،آه ستتصل بنيرة،نعم نيرة ستساعدها، الحمد لله أنها مازلت هنا.

جاءها صوت نيرة من الطرف الآخر: «الو»

ناشدتها في هستيريا :

- نيرة،نيرة.

- نور كيف حالك؟

- استمعي إليَّ جيدًا ،تعالي بسرعة أحتاجك.

ارتاعت نيرة: - ماذا حدث؟ يكاد قلبي يقف.

- اسمعي أرجوكِ،يجب أن أعود إلى القاهرة عن فوري ودون تأخير.

- لقد أخفتيني،قولي لي ماذا حدث أرجوكِ؟

obeikandl.com

- إنه هو،لقد عاد،عاد يا نيرة،

وأضافت بصوت مهتاج:

- عثر عليَّ،وجدني،كنتُ مُحقَّة،..نعم كنتُ مُحقَّة.

- كيف حدث هذا؟

- حفل الخطوبة،نعم بالتأكيد،الصور أرشدته إلى مكاني،لا يوجد تفسير آخر.

- التقطي أنفاسك وحاولي التحدث بهدوء،أرجوكِ حتى أفهم.

- اتصل منذ قليل.

ناحت بلوعة وأكملت:

- يريدني،إن لم أذهب إليه سيقتل آسر،قال لي يجب أن أذهب طوعًا وإلا قتله آسر.

- هذا جنون ،يجب أن نبلغ الشرطة،اتصلي بآسر ليأتي،أنتِ لم تخبريه حتى الآن صحيح؟

- لا لم أخبره.

- رباه،لا يمكنني لومك الآن،ما سنفعله هو أننا سنتصل بالشرطة ثم.

obeikandl.com

لم تدعها نور تكمل بل صرخت قائلة:

- لقد هرب من قبل وسيفعلها مرة أخرى لقد ازداد جنونه وهوسه،أنتِ لا تعرفيه كما أعرفه أنا،كما أن الشرطة لم تجده فكيف ستساعدني الآن وهي عجزت من قبل،سأرحل..نعم يجب أن أهرب،إن وجدني هذه المرة لن أنجو أبدًا.

- لكن يا نور،هذا خطأ،ستحطمين آسر،

- أنا من سيتحطم إلى أشلاء،هذا قدري،خطئي من البداية أني حاولت الحياة بشكل طبيعي بل وتزوجت آسر،

ناشدتها نيرة : «وما ذنبه هو،اشرحي له أولاً»

- وما ذنبي أنا أيضًا يا نيرة،لم أذنب في حق أحد،وانظري حالي الآن.

وصل إليها صوت نيرة تبكي: «نور»

- كنت أعلم،أن السعادة بيني وبينها أميال إن اقتربت خطوة،سرعان ما تنسحب خطوات،سوف أحزم أمتعتي الآن قبل أن يأتي آسر.

- لا،انتظريني سآتي بسرعة.

- لا الوقت يكاد ينفذ،وعندما أستقرُّ في مكان سأهاتفك.

- لا يا نور،لا تتسرعي سنجد حل آخر،انتظريني،آسر لن يتحمل صدقيني.

- بل سيتحمل،لقد تغير كثيرًا خلال الفترة الماضية،لعله يستريح مني،لقد كان زواجنا غلطة منذ البدء،ما كان عليَّ أن أتزوجه أنا وهو على طريقٍ نقيض، قد يكون هذا أفضل لي وله،تعالي فيما بعد أنتِ وآدم وأقنعيه بالرحيل لا تتركوه وحده هنا،وأنا ليرحمني الله.

قطعت المكالمة دون أن تمنح نيرة فرصة لقول شيء آخر،رمت الهاتف بإهمال جانبًا وخواء غريب يتملكها،استدارت لتذهب إلى غرفتها،ولكنها توقفت عن فورها،تراه يحدق بها بقسوة.

خرج اسمه من بين شفتيها بذهول:

- آسر؟

منذ متى يقف هنا؟ ما به لا يتحرك من مكانه، هل تناهى إلى مسامعه حوارها مع نيرة؟

لو النظرات تقتل لكانت وقعت صريعة بين قدميه.

لا يستطيع تصديق ما سمعه،لقد ترك عمله دون أن يفكر أو يعطي نفسه فرصة للتوقف وقد قرر أن ينهي هذا الموضوع ويواجهها،فيستحيل عليه الاستمرار على هذا النحو وكله أمل أن

يكون مخطئًا ويجد تفسيرًا عند نور،ولكنه صدم وهو يسمعها تحدث نيرة وتقول أن زواجهم غلطة،ما كان عليها أن تتزوجه،هو آسر الطيب،تتحدث عنه زوجته هكذا! تتفق على المغادرة دون حتى مواجهته.

دنا منها ببطء وعيناه تتوعدانها بقسوة، يخطو للأمام وهي تتراجع للخلف حتى تَمكَّن منها فأمسك كتفيها تكاد أصابعه أن تخترق لحمها ،هدر صائحًا:

- زواجنا غلطة؟

توقف يرمقها باشمئزاز ثم يكمل:

- أيتها الحقيرة،هل تتصورين أن الزواج لعبة،تدخلين العش ثم تغادرينه متى شئتِ؟ خُيِّل إليكِ أنكِ ستخدعينني بسهولة ودون أن تتلقي أي عقاب،لا يا نور،لا لم تُخلق بعد المرأة التي تضحك على آسر الطيب.

انكمشت نور بين يديه القاسية تردد بخوف:

- آسر،لقد أسأت الفهم.

هزَّ رأسه: - أسأت الفهم! كيف وقد سمعتكِ بأذني أيتها الكاذبة،هل أعيد على سمعك ما قلتيه منذ قليل،لقد كان زواجنا

غلطة منذ البدء،ما كان عليَّ أن أتزوجه أنا وهو على طريقٍ نقيض قد يكون هذا أفضل لي وله.

احتارت ماذا تفعل حتى تجعله يفهم،دفعها بعيدًا عنه مشمئزًا من مجرد لمسها فيما أصرت عليه قائلة:

- لِمَ لا تدعني أتكلم؟

- وهل حاولتِ التكلم من قبل،ما الذي كان يمنعك،لا ما كنتِ لتتكلمي أبدًا لقد كنتِ تخططين للغدر بي.

هتفت ثائرة:

- لا والله ما كنت لأفعل أبدًا،ولكني،أنا.

قاطعها:

- كنتِ ستذهبين إليه أليس كذلك.

وقع قلبها بين قدميها:

- ماذا؟

- اها،صُدِمتِ،أنا أعلم،عنه،رجلكِ الفرنسي،الذي يزعم أن نور له وحده.

- كـ ،يف،عع،لمت.

خرجت الكلمات من فمها بصعوبة فقاطعها:

- تمالكي نفسكِ أولاً؛ انتظرتُ كثيرًا لتأتي طوع نفسك وتخبريني، كثيرًا ما لاحظت تصرفاتك الغريبة وارتباكك،بل ورغبتك الشديدة في العودة إلى الديار.
- ألا يخبرك هذا بشيء؟ لا تظلمني أرجوك.
- أظلمك؟، أنا! .. من يظلم من! .. ما الذي يجعلك ترغبين بشدة في المغادرة .. ها ، لماذا؟
- غلطة قديمة،سرّ من الماضي تخشين فضحه،رجلٌ يعلم عنكِ أشياء تخلين منها،جسدكِ مثلاً؟ جسد زوجتي؟ وماذا أيضًا يا نور،أيتها البريئة.
- لِمَ لَمْ تسألني،تواجهني؟
- ولِمَ لَمْ تفعلي أنت؟،ما الذي يجعلك تكتمين أمر رجل آخر عني؟،رجل مازال يرغبك؟،هل تعلمين ما الجحيم الذي عشته طيلة هذه الفترة؟،أنظر إليكِ ولا أقدر أن أتفوه بكلمة،أنتظر؟،فقد أنتظر.

أصاب البرود صوتها وهي تتمتم بجمود:

- تلك غيرة أم شك؟

لوى شفتيه ساخرًا: وهل يفرق معك؟؟

- كثيرًا،أكثر مما تتخيل.

- قبل اليوم كنت سأختار الإجابة الأولى،أما الآن،فأصبحت أشك حتى في نفسي.

شعرت نور بقلبها كقطعة الزجاج الباردة التي تهوي وتتحطم لقطع صغيرة:

- وصلنا إلى الشك يا آسر،تشك بي!

أدار ظهره إليها في قسوة دون أي تعاطف،أغمضت عينيها ببؤس،تبتلع غصتها ثم قالت بصوت مرتجف:

- على أية حال لا يهم،سأرحل وينتهي كل شيء.

- ستظلين هنا إلا أن أسمح لكِ.

- وما الفائدة يا آسر؟

- لا تسألي،عودي إلى غرفتك،لا أريد أن أتحدث معكِ الآن في أي شيء،دعيني وحدي.

- لا، سأعود إلى القاهرة وفورًا.

استدار نحوها وأسرع يمسك ذراعها وهزّها بقسوة:

obeikandl.com

- أيتها الوقحة،ماذا تريدين،هل تظنين أني مغفل،أدير ظهري لكِ وتذهبين إليه؟

زاغت عيناها لا تصدق ما تراه منه:

- أذهب إلى من، اتركني، أنت مجنون.

حاولت دفعه عنها ولكنه شدها إليه ثائرًا فتكسر صوتها وهي تتمتم نائحة:

- لقد أحببتك بل عشقتك، ووثقت بك وها أنت ترمي كل هذا في وجهي، تتهمني بالخيانة يا آسر، أنا أخون،ستندم على كل كلمة تفوهت بها ووقتها لن أسامحك أبدًا!

حاولت دفعه مرة أخرى فأبى:

- لن أتركك.

- بل ستدعها الآن وفورًا،اتركها،أنت لا تستحقها،لقد كنت مخطئة في ظني بك.

التفت الاثنان نحو الصوت الغاضب،تقدمت نيرة داخل الغرفة وفكت يد آسر من على ذراع نور التي ترنحت بضعف فأسندتها حتى لا تقع، ثم قادتها نحو أقرب كرسي وأجلستها عليه ثم التفتت نحوه وقالت:

- لقد اخطأت عندما جمعت بينكما، فأنت لا تستحقها، كيف تتكلم معها بتلك الطريقة هل تعي ما تفعل؟؟

- من انت حتى تحكم عليها بكل هذه القسوة؟ حتى أنك لم تعطها حق الدفاع عن نفسها

- لا تتدخلي يا نيرة،أستطيع التكلم معها بأي لهجة أحبها فهي زوجتي.

- لن تكون بعد الآن،

التفتت لتنظر إلى نور ذات الوجه الشاحب والعيون الزائغة،رقَّ قلبها حزنًا، فتقدمت منها وانحنت أمامها تمسك يدها وهي تقول بصوت باكٍ:

- لماذا لم تدافعي عن نفسك،لطالما طلبتُ منكِ مصارحته ، ولكنكِ رفضتِ واستمريتِ في العناد؟

أدارت رأسها نحوه قالت:

- قالت إنك لن تفهم،،وإن فهمت ستشفق عليها وتتألم،كانت على استعداد لتركك وقلبها يتحطم لفراقك حتى لا تتأذى،وأنت،أنت»

شعر آسر بالحيرة، اقترب من نيرة وتنقلت نظراته بينها وبين نور التي أصبحت لا تبدي أي رد فعل:

- ما الذي تتكلمين عنه؟ نهضت نيرة لتجلس قبالة صديقتها تنظر إليها قائلة:

- سامحيني يا نور يجب أن يعلم،لن أقف صامتة وأنا أراه يفعل بكِ هذا.

لم ترد نور وظلت على وضعها،عادت نيرة تلتفت نحو آسر، وبدأت تروي،في نفس الوقت الذي انفصلت فيه نور عن ما حولها، انتقلت إلى زمنٍ آخر؛ لتستعيد كل لحظة مرت منذ أن خطت قدميها فوق تلك الأرض،كشريط سينمائي يدور، وتبدأ الحكاية.

●●●

obeikandl.com

(١٢)

لطالما عشقت آلة الكمان، وقد كان أملها في الحياة أن تحترف العزف عليه ولكي تحقق هذا الحلم كان لا بد من أن تذهب إلى فرنسا؛ لكي تتدرب على يد أشهر المعلمين هناك، وبعد بحث طويل ومساعدة من وليد توصلت إلى البروفسور «جان بير» بالفعل سافرت إلى باريس وتوفر لها السكن بالقرب من معهد الموسيقى الذي انتسبت إليه؛ لتكون تحت إشراف مباشر من معلمها،تقطع فقط مسافة عشر دقائق مشيًا على الأقدام حتى تصل المعهد،لم يخطر على بالها مطلقًا أنها قد لفتت انتباه موظف إداري في المعهد أعجبته وأصبحت محور اهتمامه دونًا عن غيرها حتى أصبح شبه مهووس،أخذ يحاول جذب انتباهها أكثر من مرة لكن دون جدوى،حتى تشجع في يوم من الأيام وتقدم منها فيما هي تصعد إلى غرفة الدرس،حاول أن يتجاذب أطراف الحديث معها ولكنها كانت من التركيز في دراستها ما جعلها تغض الطرف عن تطفل أي أحد،خاصة في ظل تربيتها الشرقية التي تجعلها تبتعد عن الأغراب،فاعتذرت منه على عجل وتبدأ درسها،لم تتصور أنها استفزته لتصبح شغله الشاغل،وبعد شهر من هذه الواقعة أنهت نور

يومها الدراسي في وقت متأخر على غير العادة، وفي طريق العودة فاجأها من الخلف وطوَّق حركتها تمامًا رغم محاولتها مقاومته، ما لبث أن تمكن من تخديرها،لتغيب عن الوعي وعندما أفاقت وجدت نفسها مقيدة في غرفة حقيرة يقشعر البدن من منظرها، تطلعت حولها مذعورة تحاول أن تستفيق من هذا الكابوس الذي حوصرت فيه، وما لبث أن تقدم منها ووجهه البشع يشع سعادة فاتسعت عيناها من الصدمة إنها تعرفه،رجل الاستقبال،

- أنت؟

اتسعت ابتسامته حتى ظهر الفرق بين أسنانه، ردَّ وهو يتأملها من رأسها إلى أخمص قدميها:

- نعم إنه أنا،لم تتركي لي خيارًا آخر،فأنتِ لم تستمعي لي أو تلتفتي حتى.

تصببت نور عرقًا من هول الموقف وقد أدركت ما يحدث بالضبط،فحاولت إرضاءه:

- أنا آسفة،سأستمع إليك بعد ذلك،من فضلك فُكَّ قيدي واتركني أرحل،وسنلتقي بعد هذا لنتحدث.

- ولماذا؟

فغرت فمها: – ماذا،ماذا؟ لا أفهم!

- لماذا ترحلين،أنتِ ستظلين هنا معي وسنتحدث كثيرًا يا حبيبتي.

ارتجفت نور بشدة وأدركت يقينًا أنها وقعت بين براثن رجل مجنون،فقالت له باستعطاف:

- ولماذا؟ أنا قلت لك أنني أخطأت وسأهتم بك بعد ذلك،ما الداعي لمكوثي هنا؟

- مكانك هنا معي محبوبتي؛ فقد وجدتكِ ولا يمكنني الاستغناء عنكِ أبدًا.

صرخت خائفة: – لقد خطفتني؟

- كيف هذا؟ هل وجود الحبيب بجوار محبوبته يعد اختطاف؟

- أنا لست حبيبتك وأنت لن تكون حبيبي،أي هراء هذا الذي تتفوه به!

تقدم منها ليمسك بشعرها ويشدها للخلف بقوة كادت تقتلعه من جذوره فيما هي تصرخ ألمًا:

- لن أتركك أبدًا وستكونين ما أريدك أن تكونيه،لقد أذللتني كثيرًا وأنتِ تقومين بتجاهلي وآن الأوان كي تتعلمي كيف تحبينني.

عاجزة دون حيلة حاولت استعطافه دون جدوى ، وكَشرقيَّة متمسكة بمبادئها ودينها؛ قاومت كثيرًا مما جعله يزداد عنفًا وسادية، فكان يضربها بقسوة حتى يسمع منها كلمة ترضيه حتى إنه كان يلقنها الكلمات لتقولها من بين دموعها،استمرَّ اختطاف نور ثلاثة أشهر طويلة، محبوسة في غرفة مظلمة، لا تدرك الليل من النهار،ترهف السمع خوفًا،كان الرجل الذي لا تعرف له اسم يأتيها من وقت إلى آخر يطلب منها التزين له، وحرص على إحضار كل يوم ثوب مختلف عن الآخر،وعندما كانت ترفض كان يشبعها ضربًا إلى أن تغيب عن الوعي وعندما تفيق تجد نفسها مرتدية الثوب بالفعل. فتنوح صارخة لانتهاك حرمة جسدها،الغريب في الأمر أن الرجل لم يقم بالتعدي عليها جنسيًّا؛ مما أثار حيرتها إلى أن استفزته يومًا فأخذ يهذي بكلام فهمت منه أنه عاجز لا يستطيع معاشرة امرأة؛ مما جعلها تزفر أنفاسها تحمد الله أن حفظها من مصير أسوأ مما هي تعيشه،من جهة أخرى أثار تخلف نور عن محاضراتها تساؤلات معلمها وإدارة المعهد التي قامت باتصالاتها على الأرقام المدونة لديها - في حال حدوث أي شيء- لكن دون جدوى، إلى أن تلقى المعهد اتصال من شقيقها يحاول الاطمئنان عليها،ومن هنا دقت أجراس الخطر وتم

إبلاغ الشرطة،وحضر وليد على وجه السرعة ليبدأ البحث عنها من جهة والشرطة من جهة أخرى، إلى أن علموا بالصدفة من حارس أمن المعهد بأنه في اليوم الأخير الذي شوهدت فيه في المعهد لمح عامل الاستقبال يتبعها إلى خارج المعهد، كما أنه دائم التغيب من وقت لآخر عن العمل،فتم الربط بين الحادثين.

وبالفعل تتبعته الشرطة إلى أن توصلت إلى مكان نور،ولكنه للأسف فرَّ هاربًا قبل أن يُقبَض عليه تاركًا نور فاقدة الحس والشعور هزيلة الجسد، حتى الدموع التي ذرفتها كثيرًا نضبت فأبت مغادرة مقلتيها،تم حملها إلى المستشفى لتلقي العلاج المناسب، تحسنت جسمانيًّا بعض الشيء ولكنها كانت قد فقدت التحكم،ففصلت نفسها عن الواقع،مكثت في مَصحّ نفسي حوالي شهرين،لم تكن تنطق إلا بكلمتين

«أريد العودة»

وأدرك وليد أنه طالما هي على أرض تلك الدولة لن تتحسن حالتها أبدًا، وعاد بها إلى أرض الوطن ولكن عائلتها لم تتمكن من استعادتها،لم تعد هي نفسها..لاذت بالفرار؟ إلى شاليه الساحل في محاولة منها لتجنب أي شخص غريب،

●●●

obeikandl.com

(١٣)

ما بين ذهول وعدم تصديق ظل آسر يحدق في نور طيلة استماعه لقصتها من بين شفتي نيرة وحرقة شديدة تكوي جوفه:

- يا لهول المصيبة التي وقعت على رأسه.

توقفت نيرة عن السرد فساد الصمت الموحش جو الغرفة،حتى صدر أول رد فعل لآسر فأخذ يعصر رأسه بين كفيه وهو يردد بخفوت:

- الحقير،الحقير.

ثم ضرب الحائط بقبضة يده مما أصاب نيرة بالإجفال فارتاعت قائلة:

- آسر!

أدار رأسه نحو نور بلهفه فيما هي ظلت على حالها من سكون تام فاتجه نحوها ثم ركع أمامها وأحاط وجهها بين كفيه يردد باستجداء:

- نور حبيبتي.

obeikandl.com

لم تبد أي رد فعل فعاد يكلمها:

- نور،أرجوكِ. لم تستجب أيضًا.

- أنا آسف،أرجوكِ

- سامحيني، لم أكن أعلم،أرجوكِ، ردي عليَّ،عنفيني، اصرخي، اصفعيني حتى، لكن لا تجلسي هكذا من فضلك.

لم تستجب ظاهريًّا ولكن عقلها ظل يصرخ في صمت:

- لم أعد أحتمل، اكتفيت منكم جميعًا، لِمَ لا تتركوني وتبتعدوا، غادروا حياتي جميعًا دون عودة،فقد مللت منكم ومن تلك الحياة في دنيا لم تترفق بي وببراءتي،بل قامت بطعني بسكين حاد جعل الألم يعرف طريقة إلى قلبي ففتك به واعتصره بقوة،اغتالتني دون إرادة مني، دون رحمة،لم يترك لي خيار، أريد أن أغمض عيني فقط أغمضها ليدركني النسيان ويأخذني في غياهب الظلمات؛ فلا أعود مطلقًا أبدًا»

ظل آسر يكلمها،يستجديها ولكنها أبت فأمسك كتفيها وأخذ يهزّها ويهزّها ولكن لا حياة لمن ينادي،فالتفت بسرعة إلى نيرة يستنجد بها فوجدها تحملق به وبنور ودموعها تسقط مدرارًا،فقد علمت أن نور استسلمت فقامت متعثرة لتجلس على ذراع الكرسي الذي يحتوي جسدها الساكن وضمت رأس نور إلى صدرها وقالت بصوت مختنق باكٍ:

- ستكونين بخير يا حبيبتي،لقد قاومتِ كثيرًا لا تستسلمي الآن،استمعي إليَّ،كل شيء سيكون على ما يرام،نعم يا حبيبتي لن يضرك شيء،

اختلطت أصواتهم وتداخلت فوصلت إلي مسامعها كأنها تأتي من قاع سحيق،وأخيرًا استطاعت إغماض عينيها ليرتخي جسدها في سكون على صدر نيرة،أثلجت أطراف آسر وهو يرى نور وقد غابت عن الوعي فقام بسرعة يرفعها بين ذراعيه وهو يسمع نيرة تردد في خوف:

- لم تصمد،لم تتحمل.

لم يستطع التحكم في أعصابه وهو يذرع ممر المستشفى ذهابًا وإيابًا منتظرًا خروج الطبيب لكي يطمئنه على زوجته، كما جلست نيرة تضع رأسها بين يديها يتآكلها القلق وقد اتصلت بآدم ليكون معها وتحصل على دعمه في مثل هذا الموقف.

أسرع آدم الخطى نحوها،فرفعت نيرة رأسها ثم لوت شفتيها ببؤس وعادت تبكي وكأنها تشكو إليه ما وصل إليه الحال، جلس بجانبها ثم امتدت أطراف أصابعه تمسح دموعها المتساقطة وهو يحاول تهدئتها:

- هشش،اهدئي كل شيء سيكون على ما يرام،فقط اهدئي.

- نور يا آدم.

وأشارت بأصابعها نحو باب غرفة المعاينة،

فتمتم في هدوء: - ستكون بخير لا تقلقي.

والتفت نحو آسر الذي لا تقل حالته سوءًا عن حال زوجته بل أصبح محطم بالكامل،نهض ثم اقترب منه يربت على كتفه مواسيًا،شرح له آسر حقيقة الوضع وطلب منه أن يكون على اتصال مع الشرطة التي أبلغها فور وصوله للمستشفى، وأيضًا المحققون المكلفون بتتبع المجرم،وفيما هو يتحدث معه رنَّ هاتفه الخلوي فرفعه ليستمع ثم تنهد وقد ارتاح باله،فقد توصلت الشرطة بمعاونة المحققين إلى مكان المجرم،وعن طريق تتبع المكالمات من شركة الهاتف نفسها أراد آسر أن يصل إليه عن فوره حتى يفصل رأسه عن جسده لما فعله بزوجته والويل الذي قاسته المسكينة على يد هذا المجرم،

طمأن نيرة وآدم وأخبرهم التفاصيل وفيما هو يتحدث خرج الطبيب من غرفة المعاينة فأسرع آسر نحوه يسأله بلهفة:

- ما الأخبار؟

- انهيار عصبي شديد..

أغمض آسر عينيه بشدة يتحسر على ما اقترفته يداه في حقها، ما العمل الآن،ماذا يفعل؟

- سأدخل إليها.

- لا أنصحك بهذا،فحالتها غير مستقرة،وقد تنتكس،وعلى أية حال هي نائمة بفعل المُهدئ الذي حقنت به، سوف أنتظر نتائج تحليل الدم الذي أجريته لها ثم أحدد خطة العلاج التي سأتبعها معها.

تمتمت نيرة: - سأظل بجوارها.

تكلم آسر: - لا يا نيرة سوف أظل معها أنا.

واجهته بصرامة:

- أنت تعلم جيدًا أنه لا يمكنك فعل هذا،الحالة التي عادت إليها نور أنت سبب رئيسي بها»

تدخل الطبيب:

- إن كان هذا؛ لا أستطيع السماح لك بالتواجد هنا؛ فهذا يضر المريضة في الوقت الحالي»

زاغت عيناه في محجريهما،فحبيبته تقبع خلف هذا الباب ولا يستطيع أن يصل إليها؟

فتمتم راجيًا: - ولكن أنتِ بحالتك تلك لن تتحملي.

خفضت نيرة نظرها نحو بطنها المنتفخة،تعلم جيدًا أنها وصلت لمرحلة متقدمة جدًّا من الحمل ومن الممكن أن تلد في أي لحظة، صحيح هي تشعر بالتعب الشديد وقد ازداد تورم قدميها ولكنها لن تتنازل عن العناية بنور وليحدث ما حدث،فأصرت قائلة:

- نحن في مستشفى يا آسر إن أحسست بأي تعب يمكنني اللجوء إلى المساعدة على الفور.

هم بالاعتراض فربت على كتفه آدم قائلاً:

- أنا أعلم طبيعة زوجتي جيدًا يا آسر فهي محاربة لن تستطيع مقاومتها،ستظل متشبثة برأيها ورغبتها،اتركها لتسير المركب فمن يعلم،هذا أفضل في ظل الوضع الحالي.

تدخل الطبيب وقال:

- سوف نوفر لها سرير بجوار سرير المريضة لن تقوم بأي مجهود،لا تقلقا.

فقالت نيرة:

- هذا جيد،إذا اتفقنا.

التفتت إلى زوجها فأشار لها برأسه مطمئنًا، استسلم آسر،غادر ليتابع تحقيقات الشرطة مع المجرم،ثم ما لبث أن عاد إلى المستشفى مرة أخرى ليكون بجوار زوجته حتى ولو ظل خارج غرفتها لا يهم،.بالأمس فقط كانت بين يديه،معه وبجواره أنفاسها تعانق أنفاسه، وفيما هو يسرع الخطى في ممر المستشفى كاد أن يصطدم بالطبيب الذي استوقفه بدوره وعاجله قائلاً:

- تم أستلام نتائج التحاليل.

أمسك الخوف بقلب آسر فقال بصوت يرتجف:

- وبعد؟

- هل تعلم أن زوجتك حامل؟

صدم آسر وردد بذهول: - حامل،نور حامل؟

وتساءل هل يفرح أم يبكي لطالما أراد أن يحظى بطفل من نور ولكن أن يصله الخبر في مثل هذه الظروف، هذا شيء يفوق قدرته على الاحتمال،بل يجعل ضميره يؤنبه أكثر فأكثر.

-

- نعم زوجتك حامل، وهذا خبر جيد في حد ذاته وقد يكون سبب في تقدم حالتها وسرعة شفائها.

فتحت أبواب الأمل في وجه آسر فتمتم متلهفًا:

- صحيح ؟ هذا ممكن حدوثه؟

- بالطبع إحساس الأم بطفلها الذي تحمله في أحشائها يجعلها ترغب ومنذ البدء في حمايته حتى وهو مجرد جنين،آمُلُ أن يكون هذا هو الحافز الفعلي لشفائها.

- وهل هي على علم بهذا؟

تكلم الطبيب:

«لا أعلم،تناقشت مع مدام نيرة في كل هذه التطورات،فهي امرأة حامل وتستطيع الوصول مع زوجتك إلى نتيجة مُرضِية»

- وأين هي نيرة الآن؟

- تجلس بجوارها تحدثها علَّها تستجيب.

●●●

ومن داخل الغرفة جلست نيرة بجوار نور وهي تمسك بيدها وتحثها على إبداء أي رد فعل فيما ظلت تلك مغيبة تمامًا، لا تعي شيء حولها، فقط عيناها ما تعطي دليل على الحياة فيما هم تحدقان في الفراغ.

- لن تظلي صامتة هكذا على الدوام يا نور،أنتِ أقوى من هذا، تستطيعين محاربة أي معتدٍ يغزو حياتك، أن تظلي على وضعك هذا هو قمة الجنون،تظلمين نفسك وقبل أن تظلميها تظلمين هذا الضعيف الذي يسكن أسفل قلبك.

- تمهلت تحاول أن تجد أي رد فعل قد يحدث من وقع كلماتها.

ثم عادت تكمل في إصرار:

- أنا وأنتِ فقط من نفهم إحساس الأم التي تحمل في أحشائها طفلاً،هل تعلمين أنكِ حامل يا نور،هل كنت تعلمين؟

فرغ صبرها وهي ترى محاولتها تذهب أدراج الرياح فتملكها الانفعال:

- لِمَ لا تقاومين؟،أين إيمانك باللّه والصبر على بلائه،تريدين قتل طفلك؟ ها أخبريني لا تصمتي هكذا،رفيقة دربي لا تظلم أبدًا يا نور،من تعرض للظلم لا يمكنه فعل ذلك.

خفت صوتها ببؤس: «أرجوكِ،هذا الطفل يحتاجك»

أحست نيرة بحركة طفلها التي أصبحت أكثر حدة فابتسمت في أمل وهي تمدُّ زراعها وتلتقط يد نور، ثم فردت أصابعها بحيث

أراحت راحتي نور فوق بطنها وكأنَّ طفل نيرة على اتفاق معها فقد تحرك ليركل يد نور، بل ويتكور تحتها لتشعر وكأن كوعه أصبحت في قبضة يدها فارتجفت أصابعها وطرفت عيناها،ثم ركلها مرة أخرى فتحرك رأسها ببطء تديره لتحدق بذهول ببطن نيرة،ركلة أخرى جعلتها تغمض عينيها محاولة أن تقاوم هذا الشعور الذي بدأ يدفعها وبقوة لتخرج من تلك الزاوية المظلمة،نحو هذا الضوء الذي أخذ يلوح ليضيء دربها لم تستطع السكوت أكثر من هذا،فارتمت على صدر نيرة تشهق بألم،لقد أرادت أن تصرخ،تنوح شاكية،أن تخرج ما يجيش في صدرها بل ويكاد يطبق عليها يسحق الباقي المتبقي منها،حركت شفتيها ولكن صوتها لم يخرج، حاولت فلم تستطع ترجمة ما تريد بكلمات،فأخذت تنوح كقطة صغيرة عاجزة،وأخيرًا استطاعت تلك الدموع العاصية أن تخرج من عقالها؛ فكم من زمن ظلت حبيسة خلف مقلتين جافتين تشققتا كَنَبْتَة ظمئة في صحراء شديدة القحولة،حتى أنها في أشد تلك اللحظات ظلمة تساءلت في حسرة أين دموعي؟

بعد أن هدأت العاصفة استكانت فوق صدر على صدر نيرة تستمد القوة من هذا الطفل العنيد الذي أظهر لها أنه لا زال هناك أمل.

وسمعت نيرة تتمتم بخشونة وقد تملكتها غصة مؤلمة:

-لقد انتهى كل شيء،قبض عليه لن يضرك بعد ذلك أبدًا.

كان باب الغرفة موارب ليطل منه رأس آسر الذي تابع ما حدث في صمت،خنقته العبرات فأخذ يبكي في صمت كطفل صغير،ممتنًا لنيرة فقد استطاعت وطفلها أن ينتشلا حبيبته من براثن هذا الانهيار الذي كاد أن يفتك بها، هذا الطفل فقط من حثها على الحياة.

خرج بهدوء ليستدعي الطبيب ويشرح له ما حدث داخل الغرفة، وأثناء معاينتها وقفت نيرة بالخارج دامعة العينين وهي تبتسم لتبدل الحال، في ظل تلك الانفراجة اتجهت إلى آسر وقالت له مؤنبة:

- الآن جاء دورك،عليك إصلاح ما أفسدته بكل لطف وحكمة،لن أضيف أكثر فأنت تعلم ما عليك القيام به.

خرج الطبيب يربت على كتف آسر ويطمئنه بل وسمح له بالدخول، كم كان يتشوق لتلك اللحظة ولكن تملك منه الخجل فأصبح يقدم رِجْلاً ويؤخر الأخرى إلى أن وصل إليها فهبط فوق ركبتيه، يمسك يدها بين يديه،يرفعها إلى شفتيه ليقبلها ثم أراحها فوق خده وهو ينظر إليها مستجديًا:

- أرجوكِ سامحيني.

لامته عيناها على سوء ظنه بها وكلامه الجارح في حقها فأكمل برجاء:

- يمكنكِ الرفض ولكني سأظل أحاول،وأحاول حتى أستعيد ثقتك مرة أخرى.

تمتمت بصوت أنهكه الوهن: « لم تستمع إليَّ»

- لن أفعل في حياتي بعد ذلك غير الاستماع إليكِ.

عادت تتمتم: «شككت بي»

- في قرارة نفسي لم أفعل،لو كنت فعلت لكنت تركتكِ ترحلين ولكني لم أستطع،أريدكِ في حياتي.

- جرحتني.

- نزف قلبي لجرحك قبل أن تصيبك كلماتي بسوء،سأظل أحاول التكفير عن غلطتي طيلة المتبقي من عمري ولآخر لحظة في حياتي حتى وأنا أموت.

فأسرعت تسحب يدها من قبضته وتضعها فوق شفتيه:

- لا تنطق تلك الكلمات مرة أخرى.

قلبها الخائن حنَّ إليه وأجبرها على مسامحته، أغمضت عينيها بشدة تقاوم ضعفها فأبى قلبها أكثر وأكثر وعصى، ففتحت عينيها على محياه وسالت دموعها مرة أخرى وفي يوم واحد

أراد أن يوقف تلك الدموع؛ فشهقاتها قطَّعت نياط قلبه،هذه زوجته التي لم يستطع فهمها أو الثقة بها في أشد اللحظات احتياجًا، آه لو يعود الزمن به إلى الخلف لكان صارحها ومن أول مرة سمع فيها كلمات المجرم،كيف استطاعت مسامحته؟

أراد أن يضرب رأسه بالحائط معاقبًا نفسه، ألم يرى براءتها؟ وكم كانت وحيدة؟ لِمَ أصبح عقله في لحظة واحدة مغيب، لم يقرأ ما بين السطور ويترجم حقيقة تصرفاتها التي كانت عليها منذ البداية ولقاءه بها،لم يستطع كبح جماح غيرته ونيرانها التي كادت أن تحرق الأخضر قبل اليابس، احتواها بين ذراعيه يشدها إلى صدره وبقوة ليكبح جماح جسدها الذي أخذ يرتجف بشدة إلى أن أخذت تهدأ شيئًا فشيئًا.

ثم قال لها:

- أحبكِ،أحبكِ طالما فيّ قلبٌ ينبض،أنتِ عشقي حتى مماتي،إن لم تغفري لي،، لن أتمكن من مسامحة نفسي ابداً وإن أردتِ الرحيل عنِّي سأرضخ صاغرًا،ولكني لن أستطيع العيش بعدها أبدًا،لن أتحمل يا نور.

رفعت رأسها ببطء عن صدره تحدق به دون وعي وقد أرادت أن تتشرب عيناها هذا المشهد ليظل عالقًا في ذاكرتها مدى الحياة،تساقطت تلك الدمعة من بين جفونه فارتاعت عليه،.

آسر يبكي؟ ومن أجل من! من أجلها هي؟ مدَّت أطراف أصابعها ومسحت دمعة أخرى هاربة ثم نظرت إليه في غضب وقالت حانقة:

-لا تبكِ، آسري لا يبكي أبدًا،هل سمعت؟ لن أسمح لك فأنا لن أحتمل،لا أملك مسامحتك فلا تطلبها،فقلبي فعل دون إرادة مني،حتى وأنت ثائر تتهمني،لم أستطع سحب إحساسي تجاهك لم أستطع كرهك.

هتف دون وعي: - حقيقي؟

- نعم، فالحب والموت يأتيان دون دعوة، فلا يستطيع أحد مهما كانت سطوته إيقاف القدر،حاولت كثيرًا مقاومتك ولكني لم أستطع فهناك قوى أكبر مني ومنك،الحب،شعور من الصعب السيطرة عليه وإن أردنا،يكون الفشل مصيرنا.

اتسعت ابتسامته وتمتم من بين حرارة مشاعره

- استمري فقط أنتِ بسَحرِي، حركي عصا الكمان وألقي برذاذ تعويذتك السحرية عبر أنغامه، وسأظل أسيركِ إلى الأبد.

●●●

الخاتمة

- مَلَك،مَلَك.

- نعم يا أبي

اسرعت اقدام الصغيرة مَلَك ذات الأعوام الأربعة تجري نحو أبيها فرفعها بين يديه يأرجحها في الهواء، وهو يسمع رنَّة ضحكاتها الجميلة تشجي مسامعه،ضمها إلى صدره ثم حدق في عينيها الجميلة الشبيهة بعينيّ أمها وقال:

- أين أمك؟

أشارت الصغيرة بيدها إلى داخل البيت قائلة بطريقتها الطفولية:

- أمي بالداخل يا أبي فهي تمشي ذهابًا وإيابًا في غرفة المعيشة.

وطلبت من والدها أن ينزلها إلى الأرض، لبَّى آسر طلبها فأخذت تقلد أمها وهي تمشي بثقل، فضحك آسر وهو يتمتم: - يا شقية لو علمت ماما أنكِ تقلديها ستغضب منكِ»

توقف عن الكلام وقد انتابه القلق،فنور حامل في طفلها الثاني ووصلت لمنتصف شهرها التاسع، قد تكون ....

obeikandl.com

حمل أبنته وهرع إلى الداخل ثم أنزلها وطلب منها الذهاب إلى غرفتها وتلعب بألعابها فأطاعته الصغيرة فوراً.

هرول إليها مسرعًا، وكما وصفتها مَلَك تمسد ظهرها بيدها تحاول مقاومة الألم ،أحاط كتفها بذراعيه يعنفها بحب:

- لِمَ لَمْ تتصلي بي،حتى في تلك اللحظات تعانديني.

ابتسمت نور من بين أنفاسها المتلاحقة فهي تعلم مدى خوفه عليها؛ قد يترك أي شيء مهما بلغت أهميته ويهرع إليها حتى لو كان أثناء اجتماع مهم، ففي إحدى المرات شكَّ في نبرة صوتها أثناء مهاتفته فعاد من الطائرة مسرعًا إليها متخلفًا عن رحلته،دون الالتفات إلى أهمية سفره فزوجها الحبيب يحيطها بحبه واهتمامه طيلة الوقت وكأنه يحرص على تأكيد وعده لها،وها هي منذ الصباح تشعر بظهرها يكاد ينقصم ألمًا وقد أدركتها آلآم المخاض، ولكنها تحاملت على نفسها بعض الشيء حتى ينتهي اجتماع مجلس الإدارة في الشركة ويعود آسر،

استندت على صدره بوهن وهي تتمتم:

- كنت على وشك الاتصال بك ،.هيا يا حبيبي أسرع بي إلى المستشفى فابنك لن ينتظر طويلاً حتى يرى الدنيا.

وبعد قضاء ليلة مضنية ينتظر فيها خروج الطبيب من غرفة الولادة أو سماع صوت طفله،أخيرًا وقف يحدق مبهورًا بالتوءمين اللذين يقبعان بجوار زوجته ونور عينيه، تقدم منها بعد حين،يمسح على رأسها بحنان قائلاً:

- كاد قلبي أن يتوقف وأنا أنتظر قدوم هذين المشاغبين.

ابتسمت له نور برِقَّة رغم مظاهر التعب والإرهاق التي اكتنفت وجهها تقول بصوت خافت متعب:

- هذان الملاكان،

مشاغبان!!»

- هذا ما يبدو على محياهم،فهم لم يتوقفا عن الصراخ إلا بعد أن أصابني اليأس.

- هذا يسمى إثبات وجود يا آسر.

اتسعت ابتسامته فيما جلس على طرف الفراش بحرص حتى لا يسبب لها أي ألم ومدَّ يده يمرر أصابعه برِقَّة فوق القبضة الصغيرة ذات الشعر الأسود فتشبثت الصغيرة بأصبعه فأصبح أسيرها؛ فضحك باستمتاع ومدَّ يده الأخرى يفعل بالمثل مع الصغير الآخر القابع فوق قلب أمه،وفيما هو يفعل ذلك رأى ملك تندفع

إلى داخل الغرفة وخلفها نيرة التي تمسك يد خالد ابنها تتقدم حتى فراش نور،وتنحني لتقبل صديقتها وتُهنِّئها على الوافدين الجدد، ثم امتلأت بعد ذلك الغرفة بالأهل والأصدقاء،يوسف وجودي وصغيرهم عمرو، ووليد وخطيبته ووالدتها أيضًا، وكذلك والدة آسر،تأمَّل آسر هذا الجمع العزيز إلى قلبه ثم أدار رأسه بكل حب إلى حبيبته وعشقه،تحدثت العيون وتناجى القلبان. يحمد آسر ربه على هذه النعمة التي منحه إياها الله سبحانه وتعالى، لاح الامتنان العميق خلف مقلتيه على تسامحها وغفرانها لزَلَّته الماضية معها؛ فلولا هذا لما حظي بكل هذا الحب والدفء وهذه العائلة الرائعة التي ملأت عليه دنياه،بعد أن تفرق الجمع وأصبحا وحدهما أمسك بمعصمها يقبل باطن كفها يبثها كل تلك الأحاسيس التي تعتمل داخله.

ليتفاجأ بمَلَك ترتمي على ظهره وهي تلف ذراعيها حول عنقه تقول بصوتها الطفولي معبرة عن غيرتها من أمها:

- وأنا أيضًا أبي، قبلني كما تفعل مع أمي.

فضحكت نور وقالت بخبث:

-رباه،قد أتت ضُرتي لتنافسني على عطف وحب زوجي.

ثم قلدت صوت مَلَك الطفولي:

- وأنا أيضًا أبى، هيا قبلها وإلا ملأت المستشفى صراخًا.

بعد حوالي أسبوعين وفي حفل سبوع التوءمين ، وفي ظل الجمع الكبير من الأهل والأصدقاء ، قدمت مَلَك الصغيرة التي قررت أن تصبح خليفة أمها بالعزف على الكمان كما علمتها نور، وقفت وسط الجمع تعزف مقطوعة الحب الموسيقية التي جمعت بين الوالد والوالدة.

وكأنَّ الزمن عاد بآسر خمس سنوات ماضية، التفت إلى زوجته وعشق فؤاده فيما شبَّك أصابعها بأصابعه وخطى نحو رفّ كمانها، أرسلت عيناه رسالة فأخذت منه الكمان وانضمت إلى مَلَك بعد أن أشارت لها وهي تغمز لها في مرح ليَبْدآ من جديد العزف كثنائي، أسرا قلوب الحاضرين بتلك الألحان الشجية حتى التوءمين هدهدتهم الموسيقى فناما،وقف آسر قبالتهما

يعود بذاكرته إلى تلك الحقبة من الزمن، هي بثوبها الأبيض تختال راقصة،تتحرك برِقَّة دون وعي أو إدراك لما حولها، مغادرةً واقعها بإشارة من تلك العصا الصغير التي لامست أوتار قلبه قبل أوتار الكمان فيما كان يقف مختبئًا،يختلس النظرات ما بين ذهول وأعجاب، سحرته الفاتنة، بعصا الجنية التي نقلته رغماً عنه إلى هذا العالم .

تمت بحمد الله

فاتن فاروق

٩/مارس/٢٠٠٨

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر

obeikandl.com